الفصل الثاني

الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي

اعتاد الناس أن يسموا تأريخ العرب قبل الاسلام (التأريخ الجاهلي) ، أو (تأريخ الجاهلية) ، وان يذهبوا الى ان العرب كانت تغلب عليهم البداوة ، وانهم كانوا قد تخلفوا عمن حولهم في الحضارة ، فعاش أكثرهم عيشة قبائل رحّل ، في جهل وغفلة ، لم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي ، ولم يكن للعالم الخارجي اتصال بهم ، أميّون ، عبدة أصنام ، ليس لهم تاريخ حافل ، لذلك عرفت تلك الحقبة التي سبقت الاسلام عندهم بـ (الجاهلية) .

و (الجاهلية) اصطلاح مستحدث ، ظهر بظهور الاسلام ، وقد أطلق على حال قبل الاسلام تمييزاً وتفريقاً لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة ، على النحو الذي يحدث عندنا وعند غيرنا من الأمم من اطلاق تسميات جديدة للعهود القائمة ، والكيانات الموجودة بعد ظهور أحداث تزلزلها وتتمكن منها ، وذلك لتمييزها وتفريقها عن العهود التي قد تسميها أيضاً بتسميات جديدة [1] . وفي التسميات التي تطلق على العهود السابقة ، ما يدل ضمناً على شيء من الازدراء والاستهجان للأوضاع السابقة في غالب الأحيان .

وقد سبق للنصارى ان أطلقوا على العصور التي سبقت المسيح والنصرانية

---

١ (وفي كتاب ليس لابن خالويه ان لفظ الجاهلية اسم حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة) ، المزهر (١٧٦) ، بلوغ الارب (١ / ١٥) .

(الجاهلية) ، أي (ايام الجاهلية) ، أو (زمان الجاهلية) ، استهجاناً لأمر تلك الأيام ، وازدراءً بجهل أصحابها لحالة الوثنية التي كانوا عليها ، ولجهالة الناس اذ ذاك وارتكابهم الخطايا التي أبعدتهم ، في نظر النصرانية ، عن العلم ، وعن ملكوت الله . (وقد أغضى الله عن أزمنة هذا الجهل فيبشر الآن جميع الناس في كل مكان الى ان يتوبوا)[1] .

وقد وردت لفظة (الجاهلية) ، في القرآن الكريم،وردت في السور المدنية[2] ، دون السور المكية ، فدل ذلك على أن ظهورها كان بعد هجرة الرسول الى المدينة ، وان اطلاقها بهذا المعنى كان بعد الهجرة ، وان المسلمين استعملوها منذ هذا العهد فما بعده .

وقد فهم جمهور من النـاس أن الجاهلية من الجهل الذي هو ضد العلم أو عدم اتباع العلم،ومن الجهل بالقراءة والكتابة ، ولهذا ترجمت اللفظة في الانكليزية بـ (The Time of Ignorance) ، وفي الألمانية بـ (Zeit der Unwissenheit)[3] وفهمها آخرون أنها من الجهل بالله وبرسوله وبشرائع الدين وباتباع الوثنية والتعبد لغـير الله ، وذهب آخرون الى أنها من المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب والكبر والتجبر وغير ذلك من الخلال التي كانت من أبرز صفات الجاهليين[4] .

ويرى المستشرق (كولدتزهير) (Goldziher) أن المقصود الأول من الكلمة

---

١ اعمال الرسل ، الاصحاح السابع عشر ، الاية ٣٠

٢ آل عمران ، الاية ١٥٤ ، المائدة ، الاية ٥٠ ، الاحزاب ، الاية ٣٣ ، الفتـح ، الآية ٢٦ .

٣ Ency., Vol., I, P., 999, Zwemer, Arabia the Cradle of Islam, P., 158.

٤ لسان العرب (١٣ / ١٣٧) ، أساس البلاغة (١ / ١٤٥) ، صحاح الجوهري، (٢ / ١٦٩) ، القاموس المحيط (٣ / ٢٥٣) (الطبعة الرابعة) ، ذيل اقرب الموارب (ص ١٤٧) ، شرح المعلقات السبع للزوزني (١٧٦) ، شرح ديـوان عنترة بـن شداد ، (ص ١٢٦) ، الاغاني (٢١ / ٢٠٧) ، بلـوغ الارب (١ / ١٦) ، فجر الاسلام (١ / ٨٧) .
لامية العرب ، للشنفرى ، « ولا يزدهي الاجهال حلمي » ، ٥٣ فجر الاسلام ص ٨٦ ، (الطبعة الثالثة) ، الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٣ ، (وهذا يؤيد قول المستشرق كولدزهير الذي اثبت أن الجهل ضد الحلم ، لا ضـد العلـم) ،
Ency., Vol., P., 999, Muh. Stu., I,S., 219. ff., Nicholson, A. Literary, 1941 P. 30.

(السفه) الذي هو ضد الحلم ، والأنفة والخفة والغضب وما إلى ذلك من معان، وهي أمور كانت جد واضحة في حياة الجاهليين ، ويقابلها الاسلام ، الذي هو مصطلح مستحدث أيضاً ظهر بظهور الاسلام ، وعمادة الخضوع لله والانقياد له[1] ونبذ التفاخر بالأحساب والأنساب والكبر وما إلى ذلك من صفات نهى عنها القرآن الكريم والحديث .

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في مواضع منه[2]، منها آية سورة الفرقان: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً)[3] ، وآية سورة البقرة : (قالوا أتتخذنا هزواً ؟ قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)[4] ، وآية سورة الأعراف : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)[5] ، وآية هود : (اني أعظك أن تكون من الجاهلين)[6]. وفي كل هذه المواضع ما ينم على أخلاق الجاهلية . وقد ورد في الحديث : (اذا كان أحدكم صائماً ، فلا يرفث ولا يجهل)[7] ، وورد أيضاً : (إنك امرؤ فيك جاهلية)[8] وبهذا المعنى تقريباً وردت الكلمة في قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[9]

أي : لا يسفه أحد علينا ، فنسفه عليهم فوق سفههم ، أي نجازيهم جزاء يربي عليه .

---

١ فجر الاسلام (ص ٨٧) ، Ency., Vol., I, P., 999, Muh. Stud.,, Bd., I, S. 244 f.

٢ راجع فهارس القرآن الكريم

٣ سورة الفرقان ، اية ٦٣ ، تفسير الطبري (١٩ / ٢١) (انهم يمشون عليها بالحلم ، لا يجهلون على من جهل عليهم) ، بلوغ الارب (١ / ١٦) .

٤ سورة البقرة ، اية ٦٧ .

٥ سورة الاعراف ٧ اية ١٩٨ ، تفسير الطبري (١٠٤/٩) ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ، هامش تفسير الطبري (٩ / ١٠٥) .

٦ سورة هود ١١ اية ٤٦ .

٧ بلوغ الارب (١ / ١٦) .

٨ ذيل اقرب الموارد (٣ / ١١٥) ، فجر الاسلام (١ / ٨٧) ، بلوغ الارب (١ / ١٦ فما بعدها) .

٩ بلوغ الارب (١ / ١٦) ، محيط المحيط ص ٣٠٩ ، اساس البلاغة (١ / ١٤٥) فجر الاسلام (١ /٨٧) ، شرح المعلقات السبع للزوزني ١٥١ .

واستعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير[1] .

وجاء في سورة المائدة : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)[2] أي أحكام الملة الجاهلية وما كانوا عليه من الضلال والجور في الأحكـــام والتفريق بين الناس في المنزلة والمعاملة[3] .

وأطلقوا على (الجاهلية الجهلاء) ، والجهلاء صفة للأولى يراد بها التوكيد، وتعني (الجاهلية القديمة)[4] . وكانوا اذا عابوا شيئاً واستبشعوه ، قالوا : (كان ذلك في الجاهلية الجهلاء)[5] . و (الجاهلية الجهلاء) هي الوثنيـــة التي حاربها الاسلام . وقد أنب القرآن المشركين على حميتهم الوثنية،فقال : « اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية »[6] .

والرأي عندي ان الجاهلية من السفه والحمق والأنفة والخفة والغضب وعـدم الانقياد لحـــكم وشريعة وارادة إلهية وما الى ذلك من حالات انتقصها الاسلام . فهي في معنى (اذهب يا جاهل) نقولها في العراق لمـــن يتسفه ويتحمق وينطق بكلام لا يليق صدوره من رجل ، فلا يبالي أدباً ولا يراعي عرفاً ، و (رجل جاهل) نطلقه على من لا يهتم بمجتمع ودين ، ولا يتورع من النطق بأفحش الكلام . ولا يشترط بالطبع أن يكون ذلك الرجل جاهـــلاً أمياً ، أي ليس له علم ، وليس بقارىء كاتب .

وقد اختلف المفسرون في المراد من الجاهلية الأولى في قوله تعالى : (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[7] ، فقيل : (الجاهلية الأولى التي

---

١ بلوغ الارب (١ / ١٦) .
٢ سورة المائدة ٥ اية ٥٠ تفسير الخازن (١ / ٥١٦) ، مدارك التنزيل وحقائق التاويل للنسفي ، حاشية على الخازن (١ / ٥١٦) .
٣ محيط المحيط (٣٠٩) ، تفسير الخازن (١ / ٥١٦) .
٤ محيط المحيط ٣٠٩ ، اساس البلاغـــة (١ / ١٤٥) ، صحاح الجوهـــري (٢ / ١٦٩) ، اقرب الموارد ص (١٤٧) (وقالوا الجاهلية الجهلاء فبالغـــوا)، لسان العرب (١٣ / ١٣٧) شمس العلوم ، (ج ١ ي ٢ ، ص ٣٦٨)
٥ اقـــرب الموارد ١٤٧ .
٦ سورة الفتح ٤٨ اية ٢٦ . عن الجاهلية والجهل وما ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم ، راجع تفصيل ايات القرآن الحكيم ، تاليف جون لابوم ، نقلـــه الـــى العربية محمد فؤاد عبد الباقي ص ٦٢١ .
٧ سورة الاحزاب رقم ٣٣ ، اية ٣٣

ولد فيها ابراهيم ، والجاهلية الأخرى التي ولد فيها محمد)[1] . وقيل (الجاهلية الأولى بين عيسى ومحمد)[2] ، وقد أدى اختلافهم في مفهوم هذه الآية الى تصور وجود جاهليتين جاهلية قديمة ، وجاهلية أخـرى هي التي كانت عند ولادة الرسول[3] .

واختلف العلماء في تحديد مبدأ الجاهلية ، أو العصر الجاهلي ، فذهب بعضهم الى أن الجاهلية كانت فيما بين نوح وإدريس[4] . وذهب آخرون الى أنها كانت بين آدم ونوح ، أو انها بين موسى وعيسى ، أو الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد[5] . وأما منتهاهـا ، فظهور الرسول ونزول الوحي عند الأكثرين ، أو فتح مكة عند جماعة[6] . وذهب ابن خالويه الى أن هذه اللفظة اطلقت في الإسلام على الزمن الذي كان قبل البعثة[7] .

والذي يفهم خاصة من كتب الحـديث أن أصحاب الرسول كانوا يعنون بـ (الجاهلية) الزمان الذي عاشوا فيه قبل الإسلام ، وقبل نزول الوحي، فكانوا يسألون الرسول عن أحكامها ، وعن موقفهم منها بعد اسلامهم ، وعن العهود التي قطعوها على أنفسهم في ذلك العهد ، وقد أقر الرسول بعضها ، ونهى عن بعض آخر[8] ، وذلك يدل على أن هذا المعنى كان قد تخصص منذ ذلك الحين،

---

١ طبقات ابن سعد (١٤٣/٨ ، ١٤٥) .
٢ بلوغ الارب (١٧/١) ، مفتاح كنوز السنة (تأليف فنسنك) ص ١٠٩ .
٣ (وليس المعنى أن ثم جاهلية اخرى ، وقد اوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام كما لا يخفى) بلوغ الارب (١٨/١) .
٤ تأريخ الطبري (٨٣/١) ، الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٢ .
٥ بلوغ الارب (١٦/١ فما بعدها) ، (والفترة ما بين كل نبيين . وفي الصحاح : ما بين كل رسولين من رسل الله عز وجل من الزمان الذي انقطعت فيـه الرسالة ، وفي الحديث فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام) ، لسان العرب (١٣٧/١٣) .
٦ بلوغ الارب (١ / ١٦ فما بعدها) .
٧ بلوغ الارب (١ / ١٥) ، المزهر ١٧٦ وفي (كتاب ليس) لابن خالويه : أن لفظ الجاهلية اسم حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة) .
٨ صحيح مسلم (١ / ٧٩) ، صحيح البخاري ك ٢٤ ب ٢٤ ، ك ٣٤ ب ١٠٠ ،ك ٤٩ ب ١٢ ، ك ٧٨ ب ١٦، ك ٨٨ ب ١ ، ك ٣٣ب ٥ ، ١٥ ،ك ٦٤، ب ٥٤ ، (قال صلى الله عليه وسلم : أربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالاحساب ، والطعن في الانساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة) ، بلوغ الارب (١ / ١٧) ، مسند احمد بـن حنبـل (٢ / ١١ ، ١٠٣ ، ١٨٧) ، (٣ / ٤٢٥) ، مفتاح كنوز السنة ص ١٠٨ .

وأصبح للفظة (الجاهلية) مدلول خاص في عهد الرسول .

وأطلق بعض العلماء على الذين عاشوا بين الميلاد ورسالة الرسول (أهل الفترة) وهم في نظرهم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث ، ذكروا منهم: (حنظلة ابن صفوان) نبي (أصحاب الرّس) وأصحاب الأخدود ، وخـالد بن سنان العبسي ، و(وثاب السني) وأسعد أبا كرب الحميري ، وقس بن ساعدة الإيادي وأمية بن أبي الصّلت ، وورقة بن نوفل ، وعداس مولى عتبة بن أبي ربيعة ، وأبا قيس صربة بن أبي أنس من الأنصار ، وأبا عامر الأوسي ، وعبدالله بن جحش وآخرين[1] . فهم اذن طبقة خاصة من الجاهليين ، ميزوا عن غيرهم بهذه السمة ، لأنهم لم يكونوا على ملة أهل الجاهلية من عبادة الأصنام والأوثان .

فلفظة (الجاهلية) اذن نعت اسلامي ، من نوع النعوت التي تطلق في العهود السابقة على حركة ما أو انقلاب . أطلقه المسلمون على ذلك العهد ، كما نطلق اليوم نعوتاً وأسماء على العهود الماضية التي يثور الناس عليها ، من مثل مصطلح (العهد المباد) الذي أطلق في العراق على العهد الملكي منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ومثل المصطلحات الأخرى الشائعة في الأقطار العربية الأخرى ، والتي اطلقت على العهود السابقة للثورات والانقلابات .

موارد التاريخ الجاهلي :

تاريخ الجاهلية هو أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تاريخ العرب ، يعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة . وأكثر ما ذكروه على انه تاريخ هذه الحقبة ، هو أساطير ، وقصص شعبي ، وأخبار أخذت عن أهل الكتاب ولا سيما اليهود ، وأشياء وضعها الوضاعون في الاسلام ، لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة .

وقد تداول العلماء وغير أصحاب العلم هذه الأخبار على انها تاريخ الجاهلية حتى القرن التاسع عشر . فلما انتهت الى المستشرقين ، شكّوا في أكثرها ، فتناولوها بالنقد . استناداً الى طرق البحث الحديثة التي دخلت على العلوم النظرية ، وتفتحت بذلك آفاق واسعة في عالم التاريخ الجاهلي لم تكن معروفة ، ووضعوا الأسس للجادات التي ستوصل عشاق التاريخ الى البحث في تاريخ جزيرة العرب .

---

١ مروج الذهب (١ / ٣٨ فما بعدها) .

وكان أهم عمل رائع قام به المستشرقون هو البحث عن الكتابات العربية التي دوّنها العرب قبل الاسلام ، وتعليم الناس قراءتها بعد أن جهلوها مدة تنيف على ألف عام . وقد فتحت هذه النصوص باب تاريخ الجاهلية ، ومن هذا الباب يجب أن نصل الى التاريخ الجاهلي الصحيح .

لقد كلف البحث عن هذه الكتابات العلماء والسياح، ثمناً غالياً كلفهم حياتهم في بعض الأحيان ، ولم يكن من السهل تجول هؤلاء الأوروبيين بأزياء مختلفة في أماكن تغلب عليها الطبيعة الصحراوية للحصول على معلومات عن الخرائب والعاديات والحصول على ما يمكن الحصول عليه من نقوش وكتابات .

والتاريخ الجاهلي مع ذلك في أول مرحلة من مراحله وفي الدرجات الأولى من سلم طويل متعب . ولا يُنتظر التقدم أكثر من ذلك،إلا إذا سهّل للعلماء التجوال في بلاد العرب ، لدراستها من جميع الوجوه ، وللبحث عن العاديات ، ويسرت لهم سبل البحث ، ووضعت أمـامهم كل المساعدات الممكنة التي تأخذ بأيديهم الى الكشف عن مواطن ذلك التاريخ والبحث عن مدافن كنوز الآثار تحت الأتربة واستخراجها وحلّ رموزها،لجعلها تنطق بأحوالها في تلك الأيام . وتلك مسؤولية لن تُفهم الاّ اذا فهم العرب وعلى رأسهم الحاكمون منهم أن من واجبهم المحافظة على تأريخ العرب القديم بصيانة مواطن الآثار ومنع الاعتداء عليها ، بانزال أشد العقوبات فيمن يحطم تمثالاً ، لاعتقاده بأنه صنم ، أو يهدم أثراً للاستفادة من حجره ، أو ما شابه ذلك من هدم وتخريب .

لم يطمئن المستشرقون الى هذا المرويّ في الكتب العربية عن التاريخ الجاهلي ولم يكتفوا به ، بل رجعوا الى مصادر وموارد ساعدتهم في تدوين هذا الذي نعرفه عن تاريخ الجاهلية ، وهو شيء قليل في الواقع ، ولكنه مع ذلك خير من هذا القديم المتعارف وأقرب منه الى التأريخ ، وقد تجمعت مادته من هذه الموارد :

(١) النقوش والكتابات .

(٢) التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى .

(٣) الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية ونحوها .

(٤) المصادر العربية الاسلامية .

١ — النقوش والكتابات :

تعد النقوش والكتابات في طليعة المصادر التي تكوّن التاريخ الجاهلي ، وهي وثائق ذات شأن ، لأنها الشاهد الناطق الحي الوحيد الباقي من تلك الأيام، وأريد أن أقسمها الى قسمين : نقوش وكتابات غير عربية تطرقت الى ذكر العرب كبعض النصوص الآشورية أو البابلية ، ونصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة، منها ما عثر عليه في العربية الجنوبية ، ويدخل ضمنها تلك التي وجدت في مصر أو في بعض جزر اليونان أو في الحبشة ، وهي من كتابات المعينيين والسبئيين ، ومنها ما عثر عليه في مواضع أخرى من جزيرة العرب ، مثل أعالي الحجاز وبلاد الشام والعربية السعودية والكويت ومواضع أخرى ، وكل ما عثر أو سيعثر عليه من نصوص في جزيرة العرب مدوناً بلهجة من اللهجات التي تعارف علماء العرب أو المستشرقون على اعتدادها من لغات العرب .

وأغلب الكتابات الجاهلية التي عثر عليها هي ويا للأسف في امور شخصية ، ولذلك انحصرت فوائدها في نواح معينة ، في مثل الدراسات اللغوية ، وأقلها النصوص التي تتعرض لحالة العرب السياسية ، أو الأحوال الاجتماعية أو العلمية او الدينية أو النواحي الثقافية والحضارية الأخرى ، ولهذا بقيت معارفنا في هذه النواحي ضحلة غير عميقة . وكل أملنا هو في المستقبل ، فلعله سيكون سخياً كريماً ، فيمدنا بفيض من مدونات لها صلة وعلاقة بهذه الأبواب، وينقذنا بذلك من هذا الجهل الفاضح الذي نحن فيه ، بتاريخ العرب قبل الاسلام .

بل حتى النصوص العربية الجنوبية التي عثر عليها حتى الآن ، هي في امور شخصية في الغالب ، من مثل انشاء بيت ، او بناء معبد ، او بناء سور ، او شفاء من مرض ، ولكنها أفادتنا ، مع ذلك ، فائدة كبيرة في تدوين تاريخ العرب الجنوبيين ، فقد أمدتنا بأسماء عدد من الملوك ، ولولاها لما عرفنا عنهم شيئاً . ونظراً الى ما نجده في بعض النصوص من اشارات الى حروب[1] ، ومن صلات بين ملوك الدول العربية الجنوبية ، ونظراً الى كون بعض الكتابات أوامر ملكية وقوانين في تنظيم الضرائب وتعيين حقوق الغرباء وفي امور عامة أخرى لها

---

1 Reportoire D'Epigraphie Semitique, Nr., 2633, 2687, 3943.

علاقة بصلة الحكومات بشعوبها ، ونظراً الى ما عرفنـــاه من ميل الى الحضارة والاستقرار والعمل والبناء ، وفي حكوماتهم من تنظيم وتنسيق في الأعمال ، فاننا نأمل الحصول في المستقبل على وثائق،تعطينا مادة مهمة جديدة عن تأريخ العرب

كتابة عثر عليها في ظفار بعمان ، ويعود عهدها الى القرن الثاني بعد الميلاد
من كتاب Qataban and Sheba (ص ٣٠٤).

الجنوبيين وعن صلاتهم ببقية العـــرب او بالعالم الخارجي ، لأن جماعة تهتم هذا الاهتمام بالأمور المذكورة ، لا يمكن ان تكون في غفلة عن اهمية تدوين التاريخ.
وتختلف الكتابات العربية الجنوبية طولاً وقصراً تبعاً للمناسبات وطبيعة الموضوع ،

وتتشابه في المضمون وفي انشائها في الغالب ، لأنها كتبت في أغراض شخصية متماثلة . ومن النصوص الطويلة المهمة ، نص رقمه العلماء برقم : (C.I.H. 1450) وقد كتب لمناسبة الحرب التي نشبت بين قبائل حاشد وقبائل حمير في مدينة (ناعط)[1] ، ونص رقمة (C.I.H. 4334) ، وقد أمر بتدوينه الملك (شعر أوتر بن علهان نهفان) (شعر أوتر بن علهن نهفن) ، (٨٠ – ٥٠ ق.م)[2] ، ونص (أبرهة) نائب ملك الحبشة على اليمن (عزلي) ، وهو يحوي كتابة مهمة تتألف من (١٣٦) سطراً ، يرتقي تاريخها الى سنة ٦٥٨ الحميرية أو ٥٤٣ م وقد كتب بحميرية رديئة ركيكة ، ونص يرتقي تاريخه الى سنة ٥٥٤ م .

أما الكتابات المكتوبة باللهجات التي يطلق عليها المستشرقون اللهجات العربية الشمالية ، فقليلة . ويراد بهذه اللهجات القريبة من عربية القرآن الكريم . وأما الكتابات التي وجد أنها مكتوبة بالثمودية أو اللحيانية أو الصفوية ، فإنها عديدة ، وهي قصيرة ، وفي أمور شخصية ، وقد أفادتنا في استخراج أسماء بعض الأصنام وبعض المواضع وفي الحصول على أسماء بعض القبائل وأمثال ذلك .

تأريخ الكتابات :

والكتابات المؤرخة قليلة . هذا أمر يؤسف عليه ، اذ يكون المؤرخ في حيرة من أمره في ضبط الزمن الذي دوّن فيه النص ، ولم نتمكن حتى الآن من الوقوف على تقويم ثابت كان يستعمله العرب قبل الإسلام ، مدة طويلة في جزيرة العرب . والذي تبين لنا حتى الآن هو أنهم استعملوا جملة طرق في تأريخهم للحوادث ، وتثبيت زمانها ، فأرخوا بحكم الملوك ، فكانوا يشيرون الى الحادث بأنه حدث في أيام الملك فلان ، أو في السنة كذا في حكم الملك فلان . وأرخوا كذلك بأيام الرؤساء وسادات القبائل وأرباب الأسر وهي طريقة عرفت عند المعينين والسبئيين والقتبانيين وعند غيرهم في مختلف أنحاء جزيرة العرب .

---

١ Margoliouth, Lectures on Arabic Historians, Calcutta, 1930, P., 29 وسارمز اليه بـ Lectures P., 30

٢ ، « شعراوتي » ، (شاعر اوتر) (شاعر اوتار) . وقد ورد الاسم في كتاب (الاكليل) مكتوبا كتابة صحيحة (شعرم اوتر) في طبعة نبيه فارس ، واخطأ فيه انستاس الكرملي فكتبه (سعوان أوثر) ، كما ورد في احدى المخطوطات التي اعتمد عليها ، طبعة الكرملي ٢٤ .

والكتابات المؤرخة بهذه الطريقـــة ، وان كانت أحسن حالاً من الكتابات المهملة التي لم يؤرخها أصحابها بتاريخ ، الا اننا قلما نستفيد منها فائدة تذكر ، اذ كيف يستطيع مؤرخ أن يعرف زمانها بالضبط ، وهو لا يعرف شيئاً عـــن حياة الملك الذي أرخت به الكتابة او حكمه ، أو زمانه ، او زمان الرجال الذين أرخ بهم ؟ لقد فات أصحاب هذه الكتابات أن شهرة الانسان لا تـدوم ، وأن الملك فلاناً ، أو رب الأسرة فلاناً ، أو الزعيم فلاناً ربما لا يعرف بعد أجيال ، وقد يصبح نسياً منسياً ، لذلك لا يجدي التأريخ بـه شيئاً ، وذاكرة الانسان لا تعي إلا الحوادث الجسام . لهـــذا السبب لم نستفد من كثير من هذه الكتابات المؤرخة على وفق هذه الطريقة ، وأملنا الوحيد هو أن يأتي يوم قـد نستفيد فيه منها في تدوين التاريخ .

وترد التواريخ في الكتابات العربية الجنوبية ، ولا سيما الكتابات القتبانية ، على هذه الصورة : (ورخس ذو سحر خرف ....)[1] ، او (ورخس ذو تمنع خرف ....)[2] ، أي : (وأرخ في شهر سحر من سنة ....) و (أرخ في شهر تمنع من سنة ....) . ويلاحظ ان (ورخ) و (توريخ) ، مثل (أرخ) و (تاريخاً) ، هما قريبتان من استعمال تميم ، اذ هي تقول : (ورخت الكتاب توريخاً) أي : (أرخت الكتاب تأريخاً)[3] . وأما حـــرف (السين) اللاحق بكلمة (ورخ) ، فانه أداة التنكير . ويلي التاريخ اسم الشهـــر ، مثل شهر (ذو تمنع) و (ذو سحر) وغير ذلك . وقد تجمعت لدينا أسمـاء عدد من الشهور في اللهجات العربية الجنوبية المختلفة تحتاج الى دراسة لمعرفة ترتيبها بالنسبة الى الموسم والسنة . ثم تلي الشهور في العادة كلمة (خرف) أي (خريف) ، وهي في العربية الجنوبية ، السنة أو العام او الحول . وعندئذ يذكر اسم الملك او الرجل الذي أرخ به ، فيقال : (خرف شهر يكل) أي سنة (شهريكول) ، وهو ملك من ملوك قتبان . وهكذا بالنسبة الى الملوك او غيرهم .

نرى من ذلك ان التاريخ بأعوام الرجال كان يتضمن شهوراً . غير اننا لا

---

١ N. Rhodokanakis, Katabanische Texte zur Bodenwirtschaft, Bd., I, S., 123.
وسارمز اليه بـ : KTB

٢ Glaser 1395 — 1604, Se 84. Glaser 1412 — 1612, SE81, KTB, BD., 130.

٣ بلوغ الارب (٣ / ٢١٤)

نستطيع أن نجزم بأن هذه الشهور كانت ثابتة لا تتغير بتغير الرجال ، او انهـا كانت تتبدل بتبدل الرجال . والرأي الغالب هو انهـا وضعت في وضع يلائم المواسم وأوقات الزراعة . ويظهر انهم كانوا يستعملون أحياناً مـع هذا التقويم تقويماً آخر هو التقويم الحكومي ، وكان يستند الى السنين المالية ،أي سني جمع الضرائب . وتختلف أسماء شهور هذا التقويم عن اسماء شهور التقاويم التي تؤرخ بالرجال[1].

ويظهر أن العرب الجنوبيين كانوا يستعملون التقويم الشمسي في الزراعة ، كما كانوا يستعملون التقويم القمري والتقويم النجمي أي التقويم الذي يقوم على رصد النجوم[2] .

وقد اتخذ الحميريون منذ سنة (١١٥ ق. م) تقويماً ثابتاً يؤرخون به، وهي السنة التي قامت فيها الدولة الحميرية — على رأي بعض العلماء — فأخذ الحميريون يؤرخون بهـذا الحادث ، واعتدوه مبدأً لتقويمهم . وقد درسه المستشرقون ، فوجدوه يقابل السنة المذكورة قبل الميلاد.والكتابات المؤرخة بموجب هذه الطريقة، لها فائدة كبيرة جداً في تثبيت التاريخ .

وقد ذهب بعض الباحثين حديثاً الى أن مبدأ تأريخ حمير يقابل السنة (١٠٩ق.م) اي بعد ست سنوات تقريباً من التقدير المذكور ، وهو التقدير المتعارف عليه . والفرق بين التقديرين غير كبير[3] .

ومن النصوص المؤرخة ، نص تأريخه سنة ٣٨٥ من سني التقويم الحميري . وإذا ذهبنا مذهب الغالبية التي تجعل بداية هذا التقويم سنة (١١٥ق. م)، عرفنا أن تاريخ هذا النص هو سنة ٢٧ م تقريباً ، وصاحبه هو الملك (يسر يهنعم)

---

١ KTB., I, S., 81. f.

٢ N. Rhodokanakis, Studien zur Lexikographie und Grammatik des Altsudarabischen, 2 BD., BD., 2, S., 145.

وسأرمز اليه بـ : LEXI

Sab, Denkm., 21, Glaser, Zwei Inschriften, 47, note 7, ZDMG., 46, Glaser Die Sternkunde der Südarabischen Qabylen, in SBWA, Winckler, AOF., 2, 35. ff.

٣ للوقوف على مبدأ التقويم الحميري ، راجع :

Glaser, Skizze, I, S., 3. ff., F. Hommel, Geschichte Südarabiens, 1, 1937, S. 96. Ryckmans, Chronologie Sabéenne, C. Rend. Ac. Inscr. et Belles, Lettres, 1943, P., 236 — 246, Le Muséon, 1964, 3 — 4, P., 407 — 427, 429. f.

« ياسر يهنعم » (ياسر ينعم) ملك سبأ وذو ريدان وابنـــه (شمر يهرعش)[1] . وللملك (ياسر يهنعم) نص آخر يعود تاريخـــه الى سنة ٣٧٤ من سني التقويم

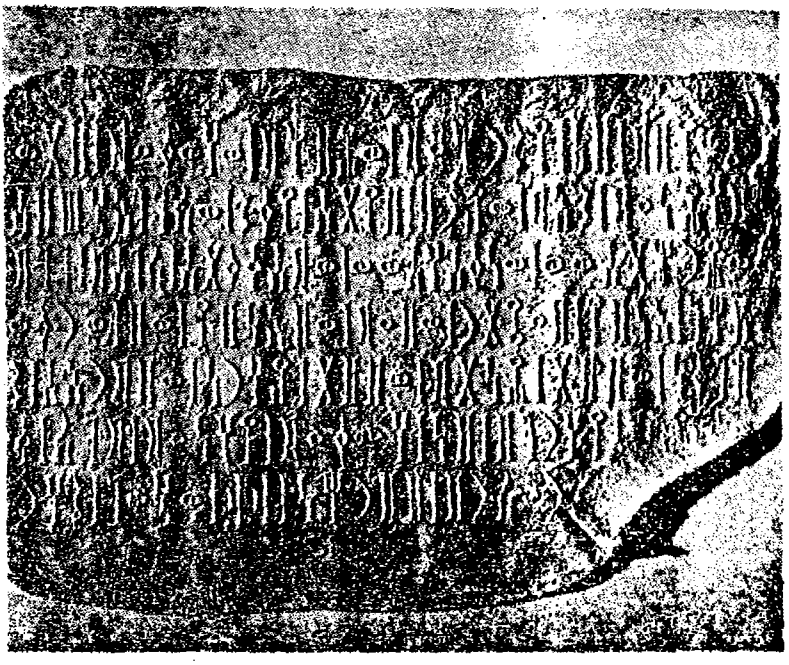

كتابة قتبانية عثر عليها في تمنع وهي لرجل اسمه ثويب
من كتاب Qataban صفحة (١٠٢)

الحميري ، أي الى سنة (٢٩٥ م)[2] . (ولشمر يهرعش)[3] كتابة أمر بتدوينها سنـــة ٣٩٦ للتقـويم الحمـــيري ، اي سنة ٢٨١م[4] . وقـــد ورد

---

١ نص رقم C.I.H. 46, Hartmann, Arabische Frage, S., 174, Rhodokanakis, WZKM, XXXVII, S., 148, J.H. Mordtmann und EUgen Mittwoch, Sabaische Inschriften, Hamburg, 1931, S., I. ff.
وسأرمز اليه بـ : Sab. Inschr.

٢ يعرف في الكتب العربية بـ (ياسر انعم) (ياسر انعم الحميري) ، (ياسر ناشر النعم) (مالك ناشر النعـم) ، الاكليـل (٨ / ٢٠٧ فمـا بعدها) (طبعـة نبيه) ،التيجان . ١٧ فما بعدها ، ١١٩ فما بعدها ، الطبرى (١ / ٦٨٣ فمـا بعدها) ، (١ / ٥٦٦) (طبعة دار المعارف) (تحقيق محمد ابي الفضـــل ابراهيم) .

٣ ويعرف بـ (شمر يرعش) في الموارد العربية ، الاكليل ٨ (٢٠٨) ، التيجان (ص ٢٢٢ فما بعدها) ، الاكليل (١٠ / ١٩ ، ٣٣) .

٤ MMI50 — C.I.H. 448.

اسمه في نصوص أخرى ، وقد لقّب نفسه بلقب (ملك سبأ وذو ريدان) ، ولقّب نفسه في مكان آخر بلقب (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت)، مما يدل على أنه كان قد وسّع ملكه ، وأخضع الأرضين المذكورة لحكمه[1] ، وهي نصوص متأخرة بالنسبة الى النصوص الأخرى .

ولما أراد الملك (شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد) (ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الجبال والسواحل) بناء السدّ ، أمر بنقش تاريخ البناء على جداره . وقد عثر عليه ، واذا به يقول : إن العمل كان في سنة ٥٦٤ — ٥٦٥ الحميرية ، وهذا يوافق عامي ٤٤٩ — ٤٥٠ من الأعوام الميلادية[2] . وبعد ثماني سنوات من هذا التأريخ ، أي في عام ٤٥٧ — ٤٥٨ من التأريخ الميلادي (٥٧٢ — ٥٧٣ حميري) ، وضع عبد كلال نصاً تاريخياً يذكر فيه اسم (الرحمن)،ولهذين النصين أهمية عظيمة جداً من الناحية الدينية . يذكر النص الأول (إله السماوات والأرضين) ، ويذكر الثاني (الرحمن) . وتظهر من هذه الاشارة فكرة التوحيد على لسان ملوك اليمن وزعمائها[3] .

وقد عُثر على نصين آخرين ورد فيهما اسم الملك « شرحب آل يكف » و « شرحبيل يكيف » . تأريخ أحدهما عام ٥٨٢ الحميري (٤٦٧ م) ، وتأريخ النص الثاني هو سنة ٥٨٥ الحميرية ، الموافقة لسنة ٤٧٠ م[4] .

ومن النصوص الآثارية المهمة ، نص حصن غراب . وهذا النص أمر بكتابته (السميفع أشوى) (السميفع أشوع) وأولاده، تخليداً لذكرى انتصار الأحباش على اليمانين في عام ٥٢٥ م (سنة ٦٤٠ الحميرية)[5] . ويليه النص الذي أمر أبرهة حاكم اليمن في عهد الأحباش بوضعه على جدران سدّ مأرب لما قام بترميم السدّ واصلاحه في عام ٦٥٧ الحميري ، الموافق لعام ٥٤٢ م[6] .

وآخر ما نجده من نصوص مؤرخة ، نص وضع في عام ٦٦٩ لتقويم حمير (يوافق عام ٥٥٤ م)[7] . ولم يعثر المنقبون بعد هذا النص على نص آخر يحمل

---

١ راجع النصوص : C.I.H. 628, C.I.H. 353, 407, 430, 431, 438

٢ Sab. Inschr., S., 2, CIH 540.

٣ BOASOR, 83 (1941), PP., 22, Sab. Inschr., S., 2.

٤ CIH 537, 644, Sab. Inschr., S., 2.

٥ Sab. Inschrl., S., 2.

٦ Sab. Inschr., S., 2, CIH 541, Margoliouth, P., 32.

٧ Sab. Inschr., S., 2, CIH 325.

تأريخاً . نعم ، عثروا على نصوص كثيرة تشابه في مضمونها وعباراتها وألفاظها النصوص التي أقيمت في الفترة بين ٤٣٩ م وسنة ٥٥٤ م ، وهذا يبعث على احتمال كون هذه النصوص مكررة ، وأنها من هذا العهد الذي بحثنا عنه آنفاً[١].

هذا ، وإن مما يلاحظ على الكتابات العربية الجنوبية أن التي ترجع منها إلى العهود القديمة من تأريخ جنوب بلاد العرب ، قليلة . وكذلك الكتابات التي ترجع الى العصور الحميرية المتأخرة،أي القريبة المتصلة بالإسلام . ولذلك أصبحت أكثر الكتابات التي عثر عليها حتى الآن من العهود الوسطى المحصورة بين أقدم عهد من عهود تأريخ اليمن وبين أقرب عهود اليمن إلى تأريخ الإسلام. وأكثرها خلو من التأريخ غير عدد منها يرد فيه أسماء ملوك وملكات أرخت بأيامهم . لكننا لا نستطيع تعيين تأريخ مضبوط لزمانهم ، لعدم وجود سلسلة لمن حكم أرض اليمن ، ولعدم وجود جداول بمدد حكمهم،ولفقدان الإشارة إلى من كان يعاصرهم من الملوك والأجانب .

وقد كان ما قدمناه يتعلق بالكتابات العربية الجنوبية المؤرخة . أما الكتابات العربية الشمالية المؤرخة ، فهي معدودة ، وهي لا تعطينا لهذا السبب فكرة علمية عن تأريخ الكتابات في الأقسام الشمالية والوسطى من بلاد العرب . وقد أرخ شاهد قبر (امرىء القيس) في يوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣ (٣٢٨م) . وهذه السنة هي من سني تقويم بصرى Bostra ، وكان أهل الشام وحوران وما يليهما ، يؤرخون بهذا التقويم في ذلك العهد ، ويبدأ بدخول بصرى في حوزة الروم سنة ١٠٥ م[٢] .

وعثر على كتابة في خرائب (زيد) بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقي حلب ، كتبت بثلاث لغات : اليونانية والسريانية والعربية ، يرجع تأريخها الى سنة (٨٢٣ للتقويم السلوقي) ، الموافقة لسنة ٥١٢ م . والمهم عندنا ، هو النص العربي ، ولا سيما قلمه العربي . أما من حيث مادته اللغوية ، فان أكثر ما ورد فيه أسماء الرجال الذين سعوا في بناء الكنيسة التي وضعت فيها الكتابة[٣] .

---

١ Sab. Inschr., S., 2, CIH 541, CIH 45, KTB, S., 140.

٢ العرب قبل الاسلام ٢٠٣ ، مجلة سومر ، الجزء الاول ، كانون الثاني ، ١٩٤٧ المجلد الثالث ، ص ١٣١ .

٣ Dussaud, Les Arabes en Syrie, PP., 34, Nabia, P., 4.
Grund., I, S., 156, Edward Sachau, Eine Dreisprachige Inschrift aus Zebed, Monatsbericht der Preussiche Akademi der Wissenschaften, Berlin, 10 Febr., 1881, S., 169 — 190, zur Trilinguis Zebedaea, in ZDMG., 36 (1882) S., 345 — 352.

وأرخت كتابة (حرّان) اليونانية بسنة أربع مئة وثلاث وستين من الأندقطية الأولى ، وهي تقابل سنة ٥٦٨ م ، والأندقطية ، هي دائرة ثماني سنين عند الرومانيين ، وكانت تستعمل في تصحيح تقويم السنة[١] . أما النص العربي ، فقد أرخ (بسنة ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم) (عام)[٢] . ورأى الاستاذ (ليتمن) أن عبارة (بعد مفسد خيبر بعم) ، تشير إلى غزوة قام بها أحد أمراء غسان لخيبر[٣]. وفي استعمال هـذه الجملة التي لم ترد في النص اليوناني ، دلالة على أن العرب الشماليين كانوا يستعملون التواريخ المحلية ، كما كانوا يؤرخون بالحوادث الشهيرة التي تقع بينهم .

أما الكتابات الصفوية والثمودية واللحيانية ، فإن من بينها كتابات مؤرخة ، إلا أن توريخها لم يفدنا شيئاً أيضاً . فقد أرخت على هذا الشكل : (يوم نزل هذا المكان) أو (سنة جاء الروم) . ومثل هذه الحوادث مبهمة ، لا يمكن أن يستفاد منها في ضبط حادث ما .

هذا وقد أشار (المسعودي) إلى طرق للجاهليين في توريخ الحوادث ، تتفق مع ما عثر عليه في الكتابات الجاهلية المؤرخة ، فقال : (وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة ، فأما حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن ، فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة وغيرهم)[٤] ، ثم ذكر أنهم أرخوا أيضاً بما كان يقع لديهم من أحداث جسيمة في نظرهم ، مثل (نار صوان) ، وهي نار كانت تظهر ببعض الحرار من أقاصي بلاد اليمن ، ومثل الحروب التي وقعت بين القبائل والأيام الشهيرة . وقد أورد جريدة بتواريخ القبائل الى ظهور الإسلام[٥] . وذكر (الطبري) أن العرب « لم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك ، غير أن قريشاً كانوا — فيما ذكر — يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتأريخهم بيوم جبلة وبالكلاب الأول والكلاب الثاني »[٦] .

---

١ ولغنستون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٩٢ ، وسارمز اليه بـ : السامية .
٢ السامية ١٩٢ ، سومر ، العدد المذكور ص ١٣٢ .
٣ Rivista degli Studi Orientali, 1911, P., 195, السامية ١٩٢ .
٤ التنبيه والاشراف (ص ١٧٢) (القاهره ١٩٣٨) (دار الصاوي)
٥ التنبيه والاشراف (ص ١٧٢ وما بعدها)
٦ الطبرى (١ / ١٩٣) (طبعة دار المعارف) .

وقد ذكر المسعودي أن قدوم أصحاب الفيـــل مكة ، كان يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمئة واثنتين وثمانين سنة للاسكندر ، وست عشرة سنة ومئتين من تاريخ العرب الذي أوله حجة العدد[1] (حجة الغدر)[2] ، ولسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان[3] . ولم يشر المسعودي الى العرب الذين أرّخوا بالتقويم المذكور ، غير أننا نستطيع أن نقول إن (المسعودي) قصد بهم أهل مكة ، لأن حملة (أبرهة) كانت قد وجهت الى مدينتهم ، وأن الحملة المذكورة كانت حادثاً تاريخياً بالنسبة اليهم ، ولذلك أرّخوا بوقت وقوعها .

ويرى كثير من المستشرقين والمشتغلين بالتقاويم وبتحويـــل السنين وبتثبيتها ، وفقاً لها ، أن عام الفيل يصادف سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد ، وبذلك يمكن اتخاذ هذا العام مبدءاً نؤرخ به على وجه التقريب الحوادث التي وقعت في مكة أو في بقية الحجاز والتي أرّخت بالعام المذكور .

٢ – التوراة والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية :

وقد جاء ذكر العرب في مواضع من أسفار التوراة تشرح علاقات العبرانيين بالعرب . والتوراة مجموعة أسفار ، كتبها جماعة من الأنبياء في أوقات مختلفة ، كتبوا أكثرها في فلسطين . وأما ما تبقى منها ، مثل حزقيال والمزامير ، فقد كتب في وادي الفرات أيام السبي ، وأقدم أسفار التوراة هو سفر (عاموس) (Amos) ، ويظن أنه كتب حوالي سنة ٧٥٠ ق. م[4] .

---

١ (حجة العدد) مروج الذهب (١ / ٢٨٢) ، (حجـة العـدد) ، مـــروج (٢ / ١٧٠) (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) (سنة ثمـان مئـــة واثنتين وثلاثين سنة للاسكندر ، مروج (٢/٨) (تحقيق محمد محي الدين)

٢ (حجة الغدر) ، البدء والتاريخ (٤ / ١٣١ وما بعدها)

٣ مروج (٢ / ١٧٠) (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) (وسنة اربـع واربعين من ملك انوشروان بن قباذ) ، البدء والتاريخ (٤ / ١٣١) .

٤ احد الانبياء ، وكان راعيا في (تقوع) (تقوعة) مدينة صغيرة جنوبي يهوذا على بعد نحو « ١٢ » ميلا من جنوب القدس . عاش في ايام عزيا ملك يهوذا ويربعام ملك اسرائيل نحو سنة ٨٠٠ ق . م . وسفر عاموس هو الثلاثون مـن أسفار التوراة ، قاموس الكتاب المقدس (ترجمة الدكتور جورج بوست) ٢ / ٥٩

Hastings, Dictionary of the Bible, p., 27,

وسارمز اليـــه بـ Hastings

Encyclopaedia of the Bible, P., 147,

وسارمز اليـــه بـ Ency. Bibli.

وأما آخر ما كتب منها ، فهو سفر (دانيال) (Daniel) والإصحاحان الرابع والخامس من سفر (المزامير) . وقد كتبت هذه في القرن الثاني قبل المسيح[1] .

فما ذكر في التوراة عن العرب يرجع تاريخه اذن الى ما بين سنة ٧٥٠ والقرن الثاني قبل المسيح .

وقد وردت في التلمود (Talmud) اشارات الى العرب كذلك . وهناك نوعان من التلمود الفلسطيني أو التلمود الأورشليمي (Yeruschalmi) كما يسميه العبرانيون اختصاراً ، والتلمود البابلي نسبة الى (بابل) بالعراق، ويعرف عندهم باسم (بابلي) اختصاراً .

أما التلمود الفلسطيني ، فقد وضع ، كما يفهم من اسمه ، في فلسطين . وقد تعاونت على تحبيره المدارس اليهودية (Academies) في الكنائس (الكنيس) . وقد كانت هذه مراكز الحركة العلمية عند اليهود في فلسطين ، وأعظمها هو مركز (طبرية) (Tiberias) ، وفي هذا المحل وضع الحبر (رابي يوحان) (Rabbi Jochanan) التلمود الأورشليمي في أقدم صورة من صوره في أواسط القرن الثالث الميلادي وتلاه بعد ذلك الأحبار الذين جاؤوا بعد (يوحنان) ،وهم الذين وضعوا شروحاً وتفاسير عدة تكون منها هذا التلمود الذي اتخذ هيأته النهائية في القرن الرابع الميلادي .

وأما التلمود البابلي ، فقد بدأ بكتابته — على ما يظهر — الحبر (آشي) (Rabbi Ashi) المتوفى عام ٤٣٠ م ، وأكمله الأحبار من بعده ، واشتغلوا به

---

١ (التلمود) (تعليم) Learning راجع عن التلمود المصادر الاتية :
Hastings, P., 890, Ency. Britani., Vol., 21, P. 769, J.Z.
Lauterbach, Mishna and W. Bacher, Talmud, In Jew. Ency., Funk, Entstehung des Talmud, Leipzig, 1910, Rodkinson, History of the Talmud, New York, 1903, Strack, Einleitung in den Talmud, 1908.

ويتالف التلمود من (المشنة) Mishnah ، وهو الموضوع ومن (جمارة) (كماره Gemara) ، وهو التفسير . فالمشنة (التكرار) عبارة عن مجموع تقاليد اعطيت لموسى حين كان على الجبل ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع، وسلموها للانبياء ثم انتقلت عن الانبياءالى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام (يهوذا) وكتبها ، ومن ثم صار يعد جامعا للمشنة . و (الجمارة) (الكمارة) (التعليم) ، وهو مجموع المناظرات والتعليم والتفاسير التي جرت في المدارس العالية بعد انتهاء المشنة . قاموس الكتاب المقدس (١ / ٢٩٠) ، Pirqe Aboth, 1, 1.

حتى اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد[1] . ولكل تلمود من التلمودين طابع خاص به ، هو طابع البلد الذي وضع فيه ، ولذلك يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث . وأما التلمود البابلي ، فيظهر عليه الطابع العراقي الحر وفيه عمق في التفكير ، وتوسع في الأحكام والمحاكمات ، وغنى في المادة . وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني[2] .

وبهذا يكمل التلمود أحكام التوراة ، وتفيدنا إشاراته من هذه الناحية في تدوين تأريخ العرب . أما الفترة بين الزمن الذي انتهي فيه من كتابة التوراة والزمن الذي بدأ فيه بكتابة التلمود ، فيمكن أن يستعان في تدوين تأريخها بعض الاستعانة بالأخبار التي ذكرها بعض الكتاب ، ومنهم المؤرخ اليهودي (يوسف فلافيوس) (جوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) الذي عاش بين سنة ٣٧ و ١٠٠ للمسيح تقريباً . وله كتاب باللغة اليونانية في تأريخ عاديات اليهود (Joudaike Archaioloigia) ، تنتهي حوادثه بسنة ٦٦ للميلاد ، وكتاب آخر في تأريخ حروب اليهود (Peri tou Joudiakou Polemou)[3] من استيلاء (انطيوخس افيفانوس) (Antiochus Epiphanos) على القدس سنة ١٧٠ قبل الميلاد الى الاستيلاء عليها مرة ثانية في عهد (طيطس) (Titus) سنة ٧٠ بعد الميلاد ، وكان شاهد عيان لهذه الحادثة. وقد نال تقدير (فسبازيان) (Vespasian) و (طيطس) وأنعم عليه بالتمتع بحقوق المواطن الروماني[4] .

وفي كتبه معلومات ثمينة عن العرب ، وأخبار مفصلة عن العرب الأنباط ، لا نجدها في كتاب ما آخر قديم . وكان الأنباط في أيامه يقطنون في منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات ، فتتاخم بلاد الشام ، ثم تنزل حتى تتصل بالبحر الأحمر[5]. وقد عاصرهم هذا المؤرخ ، غير أنه لم يهتم بهم الا من ناحية علاقة الأنباط بالعبرانيين ، ولم تكن بلاد العرب عنده الا مملكة الأنباط[6] .

---

١ Hastings, P., 891.

٢ Hastings, P., 891.

٣ Peri tou Joudaikon Polemou, De Bello Judiaco.

٤ Harvey, The Oxford Companion to Classical Literature, P., 228, Simon Dubnow, Weltgeschichte des Judischen Volkes, BD., 2, s., 83. ff., BD. 3, s., 105, Ency. Brita., Vol., 13, P., 153.

٥ Josephus, Antiquities, BK., XIV, Ch., 14, I, The Jewish War, BK., I, ch. 1. 3. Ch. 4. 2.

٦ Hastings, P., 68.

هذا وان للشروح والتفاسير المدونة على التوراة والتلمود قديماً وحديثاً، وكذلك للمصطلحات العبرانية القديمة على اختلاف أصنافها أهمية كبيرة في تفهم تاريخ الجاهلية ، وفي شرح المصطلحات الغامضة التي ترد في النصوص العربية التي تعود الى ما قبل الإسلام ، لأنها نفسها وبتسمياتها ترد عند العبرانيين في المعاني التي وضعها الجاهليون لها . وقد استفدت كثيراً من الكتب المؤلفة عن التوراة مثل المعجمات في تفهم أحوال الجاهلية ، وفي زيادة معارفي بها ، ولهذا أرى أن من اللازم لمن يريد درس أحوال الجاهلية ، التوغل في دراسة تلك الموارد وجميع أحوال العبرانيين قبل الإسلام .

٣ ـ الكتب الكلاسيكية :

وأقصد بالكتب (الكلاسيكية) الكتب اليونانية واللاتينية المؤلفة قبل الإسلام. ولهذه الكتب ـ على ما فيها من خطأ ـ أهمية كبيرة ، لأنها وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية كبيرة الخطورة ، ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم نعرف عنها شيئاً . وقد استقى مؤلفوها وأصحابها معارفهم من الرجال الذين اشتركوا في الحملات التي أرسلها اليونان أو الرومان الى بلاد العرب ،ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب أو أقاموا مدة بين ظهرانيهم ، ولا سيما في بلاد الأنباط ، ومن التجار وأصحاب السفن الذين كانوا يتوغلون في البحار وفي بلاد العرب للمتاجرة . وتعد الاسكندرية من أهم المراكز التي كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب وعادات سكانها وما ينتج فيها لتقديمها الى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط . وقد استقى كثير من الكتّاب(الكلاسيكيين) معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصادر التجارية العالمية .

وتتحدث الكتب الكلاسيكية جازمةً عن وجود علاقات قديمة كانت بين سواحل بلاد العرب وبلاد اليونان والرومان ، وتتجاوز بعض هذه الكتب هذه الحدود فتتحدث عن نظرية قديمة كانت شائعة بين اليونان ، وهي وجود أصل دموي مشترك بين بعض القبائل العربية واليونان . وتفصح هذه النظرية ، على ما يبدو منها من سذاجة ، عن العلاقات العريقة في القِدَم التي كانت تربط سكان

البحر المتوسط الشماليين بسكان الجزيرة الغربية[1] .

ومن أقدم من ذكر العرب من اليونانيين (أخيلس) (Aescylus) (٥٢٥ — ٤٥٦ ق. م) ، و (هيرودتس) (٤٨٠ — ٤٢٥ ق. م) وقد زار مصر، وتتبع شؤون الشرق وأخباره بالمشاهدة والسماع ، ودوّن ما سمعه ، ووصف ما شاهده في كتاب تاريخي . وهو أول أوروبي ألّف كتاباً بأسلوب منمق مبوب في التاريخ ووصل مؤلفه الينا ، وقد لقّبه (شيشرون) (Cicero) الشهير بلقب (أبي التأريخ) .

تناول « هيرودتس » تاريخ الصراع بين اليونان والفرس ، وان شئت فسمّه (النزاع الأوروبي الآسيوي) ، فألّف عن تاريخه . والظاهر أنه لم يتمكن من إتمامه ، ففيه فصول وضعت بعد وفاته . وهو أول كاتب يوناني اتخذ من الماضي موضوعاً للحاضر ومادة للمناقشة ، بعد أن كان البحث في أخبار الأيام السالفة مقصوراً على ذكر الأساطير والقصص الشعبية والدينية . وهو مع حرصه على النقد والمحاكمة ، لم يتمكن أن يكون بنجوة من الأفكار الساذجة التي كانت تغلب على ذلك العالم الابتدائي في ذلك العهد[2] ، فحشر في كتابه قصصاً ساذجاً وحكايات لا يصدقها العقل ، متأثراً بعقلية زمانه في التصديق بأمثال هذه الأمور.

ومنهم (ثيوفراستوس) (Theophrastus) ، (حوالي ٣٧١ — ٢٨٧ ق. م)، مؤلف كتاب (Historia Plantarum) وكتاب (De Causis Plantarum) . وفي خلال حديثه عن النبات تطرّق الى ذكر البقاع العربية التي كانت تنمو بها مختلف الأشجار، ولا سيما المناطق الجنوبية التي كانت تصدّر التمر واللبان والبخور والأفاويه[3] . و (ايراتو ستينس) (Eratosthenes) (٢٧٦ — ١٩٤ ق. م) . وقد استفاد الكتّاب اليونانيون الذين جاؤوا من بعده من كتاباته، ونجد في مواضع مختلفة من جغرافية (سترابون أقوالاً معزوّة اليه[4]).

---

١ Agatharchides, De Rubro Mari, Opud Geograph, Vet Script minton, I, P., 59, ed., Oxon, 1698, Ch. Forster, The Historical Geography of Arabia, in two Vol., Vol., I, PP., XXXVI,

وسأرمز اليه بـ : Forster :

Pliny, Nat. History, Vol., VI, P., 32, Vol., 2, PP., 718. ed. Paris. 1828. 8 Vol.

٢ اعتمدت على ترجمة George Rawlinson الانكليزية ،

The History of Herodotus, Translated by George Rawlinson, in 2 Vol., London, 1920

٣ Theopheophrastus, Historia Plantarum, Ed., Hort, 1916.

٤ H. Berger, Die Geogr. Fragmente des Eratosthenes, 1880.

ونضيف إلى من تقدموا (ديودورس الصقلي) (Diodorus Siculus) (٤٠ق.م).
وقد ألف باللغة اليونانية تأريخاً عاماً سمّاه (المكتبة التأريخيـــة) (Bibliotheke Historike) ، تناول تأريخ العالم من عصر الأساطير حتى فتح (يوليوس قيصر) لأقليم (الغال) . وهو في أربعين جزءاً ، لم يبق منها سوى خمسة عشر جزءاً، تبحث في الحقبة المهمة التي تبتدىء بسنة ٤٨٠ ق. م. وتنتهي بسنة ٣٢٣ ق.م[١].

ويعوز هـــذا المؤرخ النقد ، لأنه جمع في كتابه كل ما وجده في الكتب القديمة من أخبار ولم يمحصها ، وقد امتلأ كتابه بالأساطير ، والعـــالم مع ذلك مدين له الى حد كبير بمعرفة أخبار الماضين ، ولا سيما الأساطير الدينية القديمة.

ومن المؤلفين الكلاسيكيين، (سترابون) (سترابو) (Strabon) (Strabo) (٦٤ ق. م — ١٩ م) وهو رحالة كتب كتاباً مهماً باللغة اليونانية في سبعـة عشر جزءاً سمّاه (جغرافيا) (Geographica)[٢] . وقـــد وصف فيه الأحوال الجغرافية الطبيعية لمقاطعات الأمبراطورية الرومانية الرئيسية ، وتأريخها ، وحالات سكانها ، وغريب عـــاداتهم وعقائدهم . وللكتاب شأن كبير ، اذ اشتمل على كثير من الأخبار التي لا تتيسر في كتاب آخر . وقد اعتمد فيه على ما ذكره الكتّاب السابقون .

وقد أفرد (سترابون) في جغرافيته فصلاً خاصاً من الكتـاب السادس عشر ببلاد العرب ، ذكر فيـــه مدائن العرب وقبائلهم في عهده ، ووصف أحوالهم التجارية والاجتماعية والاقتصادية ، وحملة (أوليوس غالوس) (أوليوس كالوس) (Aelius Gallus) المعروفة لفتح بلاد العرب وما كان من اخفاقه . ولأخبـــار هذه الحملة التي دوّنهـــا (سترابون) في جغرافيته ، أهمية خاصة ، اذ جاءت بمعلومات عن نواحي من تأريخ العرب نجهلها ، وقد شارك هو نفسه في الحملة، وقد كان صديقاً لقائدها ، فوصفه وصف شاهـــد عيان[٣] . وقد استهل وصف

---

١ Diodorus Siculus, Bibliotheca Historica, Vol., 1-3,
Edited by Friedrich Vogel, Vol., 4 and 5, Edited by C.T. Fischer, in Bibliotheca Scriptorum Graeco rum et Romanum Teubneriana, Leipzig, 1888-1906.

٢ وقيل (٦٦ ق . م — ٢٤ م) ، اعتمدت على ترجمة : Hamilton
The Geography of Strao, Translated by Hamilton, London, 1912, in 3 Vols.,
Strabo, Geographia, Edited by August Meineke, in 3 Vols. Leipzig, 1907-1913,

٣ Strabo, BK., 16, Cha., I, ed. Hamilton, Vol., 3, PP., 170, 209.

الحملة بهذه العبارة : (لقد علمتنا الحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب بقيادة أوليوس غالوس في أيامنا هذه أشياء كثيرة عن تلك البلاد[1] .

وممن تحدث عن العرب (بلينيوس) (بليني الأقدم) (Pliny the Elder) (Galus Plinius Secundus) المتوفى سنة ٧٩ م ، ومن كتبه المهمة كتابه (التأريخ الطبيعي) (Naturalis Historia) في سبعة وثلاثين قسماً ، وقد نقل في كتابه عمن تقدمه ، ولا سيما معلوماته عن بلاد العرب والشرق وجمع ما أمكنه جمعه ، غير أنه أتى في أماكن متعددة من كتابه بأخبار لم يرد لها ذكر من كتب المؤرخين الآخرين[2] .

وهناك مؤلف يوناني مجهول، وضع كتاباً،سماه (الطواف حول بحر الأريتريا) (Periplus Maris Erythraei) (The Periplus of the Erythraean Sea)[3] أتمه في نهاية القرن الأول للمسيح في رأي بعض العلماء ، أو بعد ذلك في حوالي النصف الأول من القرن الثالث للميلاد في راي بعض آخر[4] ، وقد وصف فيه تطوافه في البحر الأحمر وسواحل البلاد العربية الجنوبية . والظاهر أنه كان عالماً بأحوال الهند وشواطىء أفريقية الشرقية ، ولعله كان تاجراً من التجار الذين كانوا يطوفون في هذه الأنحاء للاتجار ، ولم يعتنِ إلاّ بأحوال السواحل . أما الأقسام الداخلية من جزيرة العرب ، فيظهر أنه لم يكن ملماً بها إلماماً كافياً .

وقد ذهب (البرايت) إلى أن الكتاب المذكور قد ألف في حوالي السنة (٨٠) بعد الميلاد[5] . وذهب آخرون إلى أن مؤلفه قد ألفه في حوالي السنة (٢٢٥) أو (٢١٠) بعد الميلاد[6] .

---

١ Strabo, Vol., 3, PP., 209, O'Leary, Arabia, P., 75 Strabo. BK. 16 Ch. 4. 22.

٢ Pliny, Naturalis Historia, edited by, C. Mayerhoff, Teubner Series, 1882-1909, 2end Edition, 6 Vols., Leipzig, 1892-1909, D. Detlefson Die Geographischen Bucher (II.242 VI Schluss), Der Naturalis Historia des G. Plinius mit Vollstandigen Kritischen Appart., Edited by W. Sieglin, Vol., 9, Berlin, 1904.

٣ The Periplus of the Erythraean Sea, Translated by W. H. Schof, New York, 1912.

٤ Franz Altheim und Ruth Stiehl, Die Araber in der Alten Welt, Berlin, 1964, Bd., I, 108.

٥ BASOR., Num. 176, 1964, P., 51.

٦ J. Pirenne, La Date du Periple de la Mer Erythree, Journal Asiatique, 1961, PP., 441., F. Altheim, Geschichte der Hunnen, V. Berlin, 1962, PP., II, Le Museon, 1964, 3-4, P., 478.

وهناك طائفة من الكتّاب الذين تركوا لنا آثاراً وردت فيها اشارات الى العرب والبلاد العربية ، مثل (أبولودورس) (Apollodorus) (المتوفى سنة ١٤٠ بعد المسيح) . و (بطلميوس) (Claudius Ptolemaes) الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثاني للمسيح . وهو صاحب مؤلفات في الرياضيات منها (كتاب المجسطي) المعروف في اللغة العربية . وله كتاب مهم في الجغرافية سمّاه (Geographike Hyphegesis) ، ويعرف باسم (جغرافية بطلميوس)[١] . ولهذا الكتاب شهرة واسعة ، وقد درّس في أكثر مدارس العالم الى ما بعد انتهاء القرون الوسطى . جمع فيه بطلميوس ما عرفه العلماء اليونان وما سمعه هو بنفسه وما شاهده هو بعينه ، وقسّم الأقاليم بحسب درجات الطول والعرض . وقد تكلم في كتابه على مدن البلاد العربية وقبائلها وأحوالها ، وزيّن الكتاب بالخارطات التي تصور وجهة نظر العلم الى العالم في ذلك العهد[٢] .

ويرى بعض الباحثين أن ما ذكره (بطلميوس) عن حضرموت يشير الى أن المنبع الذي أخذ منه كان يعلم شيئاً عنها ، وانه كان قد أقام مدة في (شبوة) العاصمة . ويرون أن ذلك المنبع قد يكون تاجراً رومياً ، أو أحد المبعوثين الرومان في تلك المدينة ، لأن وصف (بطلميوس) للأودية والأماكن الحضرمية يشير إلى وجود معرفة بالأماكن عند صاحبه . أما ما ذكره (بطلميوس) عن أرض (سبأ) والسبئيين ، فانه لا يدل،على حد قول المذكورين،على علم بالأماكن ، وإجادة لأسمائها ، وأن الذي أخذ منه (بطلميوس) لم يكن قد شاهدها[٣] .

ومن الذين أوردوا شيئاً عن أحوال بلاد العرب (أريان) (Arrian) (Flavius Arrianus) (٩٥ – ١٧٥ م) ، وقد ألف كتباً عديدة . منها

---

١ Geographia, Edited by C.F. Nobbe, 3 Vols, Leipzig, 1843-1845, Vol., I, Part, I, Carolus Mullerus, Paris, 1884, Vol., I, P., 2, by C. Th. Fisher, Paris, 1901.

٢ (قال المسعودي : وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الارض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار والعيون ، ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة ، وا عددها اربعة آلاف وخمس مئة وثلاثون مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة في اقليم اقليم ....) ، مروج الذهب (١ / ٧٣) .

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P., 466.

كتابه (Anabasis of Alexander the Great) في خمسة عشر قسماً ، وصف في سبعة منها حملات الإسكندر الكبير ، وفي الثمانية الأخرى وصف الهند وأحوال الهنود ورحلة القائد (Nearchus) (نيرخس) (أميرال الإسكندر في الخليج العربي[1] . ومنهم (هيروديان) (Herodianus) (١٦٥ – ٢٥٠ ب. م) ، وهو مؤرخ سرياني ألف في اليونانية كتاباً في تأريخ قياصرة الروم من وفاة القيصر (ماركوس أوريليوس) إلى سنة ٢٣٨ م[2] .

الموارد النصرانية :

وللمواد النصرانية أهمية كبيرة في تدوين تأريخ انتشار النصرانية في بلاد العرب وتأريخ القبائل العربية ، وعلاقات العرب باليونان والفرس ، وقد كُتب أغلبها باليونانية والسريانية . ولها في نظري قيمة تأريخية مهمة لأنها عند عرضها للحوادث تربطها بتأريخ ثابت معين ، مثل المجامع الكنيسية ، أو تواريخ القديسين ، والحروب وأوقاتها في الغالب مضبوطة مثبتة .

ومن أشهر هذه الموارد مؤلفات المؤرخ الشهير (أويسبيوس) المعروف بـ (أويسبيوس القيصري) (Eusebius of Caesarea) (٢٦٣ – ٣٤٠م) (٢٦٥ – ٣٤٠ م) وبـ (أبي التأريخ الكنائسي) Father of Ecclesiastical) (History . وبـ (هيرودتس النصارى)[3] . وكان على اتصال بكبار رجال الحكومة وبروساء الكنيسة ، فاستطاع بذلك أن يقف على كثير من أسرار الدولة وأن يراجع المخطوطات والوثائق الثمينة التي كانت تحويها خزائن الحكومة وخزائن كتب الرؤساء والأغنياء .

وكان قد ألّف كتاباً في التاريخ باللغة اليونانية ، عرف بـ (The Chronicon) ، حوى بالاضافة الى التاريخ العام تقاويم وجداول بالحوادث التي حدثت في أيامه .

---

١ Anabasis, Edited by, A.G. Ross, Leipzig, 1907, C. Muller, Paris, 1846, Historia Indica, Edited by Carl Muller, in his Geographi Graeci Minoris, Vol., I, Paris, 1861, PP., 306-369.

٢ Herodianus, Ab Excessu divi marci libri Octo, Edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1883.

٣ William Smith, A Dictionary of the Bible, Vol., 3, P., 107.

وقد أفاد هذا الكتاب فائدة كبيرة في معرفة تاريخ اليونان والرومان حتى سنة ٣٢٥م، ولم يبق من أصله غير قطع صغيرة . غير أن له ترجمة باللاتينية عملها (جيروم) (Jerome) ، وأخرى باللغة الأرمنية ، وقد سدّ (جوزيف سكالكر) (Joseph Scaliger) النقص الذي طرأ على النسخة الأصلية ، باستفادته من هاتين الترجمتين[1] .

ولهذا الأسقف كتب مهمة أخرى ، في مقدمتها كتاب (التاريخ الكنائسي) (Ecclesiastical History) ، وهو في عشرة كتب ، يبدأ بأيام المسيح ، وينتهي بوفاة الامبراطور (Licinius) سنة ٣٢٤ م . وقد استقى كتابه هذا من مصادر قديمة ، وأورد فيه أموراً انفرد بها[2] . ومن مؤلفاته : كتاب (شهداء فلسطين) (The Martyrs of Palastine) تحدّث فيه عن تعذيبهم واستشهادهم في أيام (Diocletian) و (Maximin) (٣٠٣ – ٣١٠ م) ، وكتاب (سيرة قسطنطين) (The Life of Constantine) ، وكتاب في فلسفة اليونان وديانتهم[3] .

ومن مؤرخي الكنيسة : (Athanasius) (حوالي ٢٩٦ – ٣٧١ م) و (Gelasius) (حوالي ٣٢٠ – ٣٩٤ م) أسقف قيصرية ، وله تتمة لتاريخ (Eusebius) . و (روفينوس تيرانيوس) (Rufinus Tyranius) المتوفى سنة ٤١٠ م ، وصاحب كتاب (Historiae Ecclesiaticae) . وقد ضمّنه أقساماً من تاريخ (أويسبيوس) و (ايرينوس) (Irenaeus) (٤٤٤م) ، وكان أسقفاً على (صور) (Tyre) ، وقد كتب مؤلفاً عن مجمع (أفسوس) للنظر في النزاع مع النساطرة ، وكان يميل اليهم . والمؤرخ (سقراط) (Socrates) ، وهو من الفقهاء في الكنيسة ، وقد اعتمد في تواريخه على من كتب قبله من المؤرخين ، وقد وردت في ثناياها أخبار عن بلاد

---

١ Eusebius, Chronicorum, Edited by Alfred Schoene, in 2 Vols., Berlin, 1866-1875, Onomastikon der Biblischen Ortsnamen, by Erich Klostermann, Vol., II, Part, I, Eusebius, Vol., 3, Part, I, Leipzig, 1904.

٢ تاريخ الكنيسة ، تأليف يوسابيوس القيصري ، ترجمة القس مرقس داود ، الناشر ، دار الكرنك ، القاهرة ١٩٦٠ .

٣ Smith, A dictionary, Vol., 3, P., 40, 107.

العرب[1] . والمؤرخ (سوزومينوس) (Sozomenus) (٤٠٠ – ٤٤٣) وله كتاب في التأريخ الكنائسي[2] ، و (ثيودوريت) (Theodoret) المتوفى حوالى سنة ٤٥٧ للميلاد . و (زوسيموس) (Zosimus) ، وهو مؤرخ يوناني ألّف في تاريخ الامبراطورية الرومانية – اليونانية ، فأشار الى العرب وعلاقاتهم بها[3] . و (شمعون الأرشامسي) (Simeon of Beit Arsham) ، وهو صاحب (رسائل الشهـــداء الحميريين)[4] التي تبحث في تعذيب ذي نواس للنصارى في نجران ، وقد جمع أخبارهم (على ما يدعيه) من بلاط ملك الحيرة أيام أوفده اليه امبراطوار الروم في مهمة رسمية . و (بروكوبيوس) (Procopius) من رجال القرن السادس للميلاد ، وكان أمين سر القائد (بليزاريوس) (Belisarius) أعظم قوّاد (يوسطنيانوس)[5] ، وقد رافقه عدة سنين في بلاد فارس وشمال أفريقية وجزيرة صقليـــة . ومن مؤلفاتـــه مؤلف في تأريخ زمانه ، لا سيما حروب (يوسطنيانوس) ، وكتاب (De Bello Persico) وقد وردت فيه أخبار ذات بال بالنسبة لبلاد العرب[6] .

ومن هؤلاء (زكريا) (Zacharias) ،المتوفى حوالى سنة ٥٦٨م[7] . و يوحنا)

---

١ Smith, A Dictionary, Vol., 3, P., 107. ff., Socrates, Ecclesiastical History, Oxon., 1844

٢ Sozomenos, Ecclesiasticae Histria, in, J.P., Migne Patrologiae, 67, 1859, Smith, A Dictionary, P., 107. ff.

٣ Zosimus, Historia Nova, Edited by L. Mendelssohn, Leipzig, 1887.

٤ Simeon of Bejt Arsham, (524), Letter on the Himiarite Martyrs, by Ign. Guidi, entitled, La Lettra di Semeone Vescova di Beth Arsham (524), Spora i Lincei atti, Anno, CCIXXVIII, Storiche e Filologiche, Vol., 7, Rome. 1881, PP., 471-515.

٥ (يوسطنيانس) حمزة الاصفهاني في كتابه تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، (طبع مطبعة كاوياني ببرلين) ، ص ٤٧ ، (يوسطانيوس) ، مروج الـذهب (١ / ٢٧٧) ، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .

٦ J. Haury, Procopius De Bello Persico, in Bibliotheca Scriptorum Graecarum et Romanorum, Leipzig, 1905.

٧ Zacharias, Historia Miscellanea, Edited by J.P.N. Land, Entitled Zacharia Episcopi mitylenes Aliorumuae Scripta Historica Graece Plerumque deperdita, Constituting J.P.N. Land, Anecdata Syriaca, Vol., 3, Leiden, 1870. Zachariah of Mtiylene, The Syriac Chronicle, Translated by Hamilton and Brooks, London, 1899.

وربما توفي ما بين ٥٣٦ – ٥٥٣ للميلاد .

ملالا (John Malalas) المتوفى سنة ٥٧٨ م[١]. و (مينندر) (Menandar) (Protector المتوفى حوالي سنة ٥٨٢م[٢] . و (يوحنا الأفسي) (John of Ephesus) وقد ولد في حوالي سنة ٥٠٥م ، وتوفى سنة ٥٨٥ م تقريباً ، وله مؤلفات عديدة منها كتابه : (التأريخ الكنائسي) (Ecclesiastica Historia) ، وهو في ثلاثة أقسام يبتدىء بأيام (يوليوس قيصر) وينتهي بسنة ٥٨٥م[٤] . وكتاب (تأريخ القديسين الشرقيين) ، وقد فرغ من تأليفه سنة ٥٦٩م[٣] . ومن هؤلاء (اسطيفان البيزنطي) (Stephanus Byzantinus) المتوفي سنة ٦٠٠م[٥]. و (ايواكريوس) (Evagrius) المعروف بـ (Scholasticus) أي (المدرسي) المتوفي سنة ٦٠٠م . وهو صاحب كتاب (التأريخ الكنائسي) (Historiae Ecclesiasticae) في ستة أقسام . يبتدى بذكر (المجمع الأفسوسي) المنعقد عام ٤٣١م وينتهي بسنة ٥٩٣م . وهو من الكتب المهمة ، لأن مؤلفه لم يكتب عن هوى ، شأن أكثر مؤرخي الكنيسة . وقد استعان بالنصوص الأصلية وبالكتب المؤلفة سابقاً[٦] .

ومن هؤلاء أيضاً (ثيوفليكت) (Theophylactus Simocatta) المتوفي سنة ٦٤٠م[٧] و (ثيوفانس) (Theophanes the Confessor) المتوفي سنة ٨١٨م[٨] . و (ايليا النصيبي) (Elijah (Elis) of Nisibis)[٩] ، (وميخائيل السوري)[١٠].

١ John Malades, Chronographia, in J.P. Migne Patrologiae cursus Completus, Series Graeca, Vol., 97, Paris, 1865, Cols., 65-716, Also, Dindorf, Bonn 1831.

٢ Menander Protector, (582), De Legationibus, in J.P. Migne, Patrologiae Cursus Completus, Series Graeca, Vol., 113, Paris, 1864, Cols 791-928.

٣ John of Ephesus, Ecclesiastical History, Part, 3, Edited by William Cureton, Oxford, 1853.

٤ Land, Anecdata Syriaca, 3 Vols., Leiden, 1862-1870, 1-288.

٥ Ethnica, by August Meineke, Ethnicorum Quae Supersunt, Vol. 1, Berlin, 1879.

٦ Evagrius Scholasticus, Historia Ecclesiasticae, Libri sex, in J.P. Migne, Petrologiae Graeca, Vol., 86, Part, 2, Paris, 1865, Cols, 2405-2906, Bury, Byzant. Texts, London, 1898.

٧ Historiae, Edited by, C. De Boor, Leipzig, 1887.

٨ Theophanes the Confessor, Chronographia, in J. P. Migne, Patrologiae Cursus Completus, Series Graea, Vol., 108, Paris, 1863, Cols, 1-1010, Also Edited by C. De Boor, Leipzig, 1887.

٩ Elijah of Nisibis, Opus Chronologicum, Edited and Translated by, F.W. Brooks, (Part) and J.P. Chabot, (Part 2), in Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Ser., 3, Vol., 7 and 8, Paris, 19091911.

١٠ Michael the Syrian, Chronicle, by J.B. Chabot, Chronique de Michel le Syrien, Patriarche Jacobite D'Antioche (1166-1199), 4 Vols, Paris, 1899-1906.

وفي قائمة المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني أسماء مخطوطات تأريخية ودينية أخرى ذات فائدة كبيرة في هذا الباب[1] . وفي مجموعة الكتابات اليونانية واللاتينية[2] وفي المجموعات التي تبحث في أعمال القديسين وفي انتشار النصرانية ، اشارات مهمة الى بلاد العرب . وهناك كتاب نشره المستشرق (كارل مولر Carl Muller) لمؤلف مجهول اسمه (Glaucus) يبحث في (آثار بلاد العرب)[3].

وهناك طائفة من المؤرخين النصارى من روم وسريان عاشوا في أيام الدولة الأموية والدولة العباسية، ألفوا في التأريخ العام وفي تواريخ النصرانية الى أيامهم، فتحدثوا لذلك عن العرب في الجاهلية وفي الإسلام . ومؤلفات هؤلاء مفيدة من ناحية ورود معارف فيها لا ترد في المؤلفات الإسلامية عن الجاهلية والإسلام ، تفيد في سدّ الثغر في التأريخ الجاهلي وفي الوقوف على النصرانية بين العرب وعلى صلات الروم والفرس بالعرب .

وأكثر الموارد المذكورة هي ، ويا للأسف ، مخطوطة ، ليس من المتيسر الاستفادة منها ، أو مطبوعة ولكنها نادة،لأنها طبعت منذ عشرات من السنين ، فصارت نسخها محدودة معدودة لا توجد الا في عدد قليل من المكتبات . ثم أنها في اليونانية أو اللاتينية أو السريانية ، أي في لغاتها الأصلية ، ولهذا صعب على من لا يتقن هذه اللغات الاستفادة منها ، ولهذه الأمور ولأمثالها ، لم يستفد منها الراغبون في البحث في التاريخ الجاهلي حتى المستشرقون منهم استفادة واسعة ، فحرمنا الوقوف على أمور كثيرة من أخبار الجاهلية كان في الامكان الوقوف عليها لو تيسرت لنا هذه الكنوز .

الموارد العربية الإسلامية :

وأعني بها الموارد التي دوّنت في الإسلام وقد جمعت مادتها عن الجاهلية من

---

١ Wright, W., Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum, in 3 Vols, London, 1870-1872.

٢ Corpus Inscriptionum Latinarum, Consilio et Auctoritate Academiae Litterarum Regiae Porussicae, Berlin, 1862, (15 Vols).

٣ Glaucus, Archaelogia Arabica, by, Carl Muller, in Fragmenta Historicorum Graecorum, Vol., 4, Paris, 1851, P., 409.

الأفواه ، خلا ما يتعلق منها بأخبار صلات الفرس بالعـرب وبأخبار آل نصر وآل غسان وبأخبار اليمن المتأخرة، فقد أخذت من موارد مرتبة يظهر أنها كانت مكتوبة كما سأتحدث عن ذلك .

والموارد المذكورة كثيرة ، منها مصنفات في التاريخ ، ومنها مصنفات في الأدب بنوعيه : من نثر ونظم ، ومنها كتب في البلدان والرحلات والجغرافيا وفي موضوعات أخرى عديدة،هي وإن كانت في أمور لا تعد من صميم التاريخ، إلا أنها مورد من الموارد التي يجب الاستعانة بها في تدوين تاريخ الجاهلية، لأنها تتضمن مادة غزيرة تتعلق بتاريخ الجاهلية القريبة من الإسلام والمتصلة به ، لا نجد لها ذكراً في كتب التاريخ ، فلا بد للمؤرخ الجاهلية من الأخذ منها لاتمام التاريخ .

الحق ، اننا إذا أردنا البحث عن مورد يصور لنا أحوال الحياة الجاهلية ، ويتحدث لنا عن تفكير أهل الحجاز عند ظهور الإسلام، فلا بد لنا من الرجوع الى القرآن الكريم ولا بد من تقديمه على سائر المراجع الإسلامية ، وهو فوقها بالطبع . ولا أريد أن أدخله فيها،لأنه كتاب مقدس ، لم ينزل كتاباً في التاريخ أو اللغة أو ما شاكل ذلك ، ولكنه نزل كتاباً عربياً ، لغته هي اللغـة العربية التي كان يتكلم بها أهل الحجاز،وقد خاطب قوماً نتحدث عنهم في هذا الكتاب، فوصف حالتهم ، وتفكيرهم وعقائدهم ، ونصحهم وذكّرهم بالأمم والشعوب العربية الخالية[1] ، وطلب منهم ترك ما هم عليه ، وتطرق الى ذكر تجاراتهم ، وسياساتهم وغير ذلك . وقد مثّلهم أناس كانت لهم صلات بالعالم الخارجي ، واطلاع على أحوال من كان حولهم . وفيه تفنيد لكثير من الآراء المغلوطة التي نجدها في المصادر العربية الإسلامية . فهو مرآة صافية للعصر الجاهلي،وهو كتاب صدق لا سبيل الى الشك في صحة نصه .

وفي القرآن الكريم ذكر لبعض أصنام أهل الحجاز،وذكر لجدلهم مع الرسول

---

١ سورة هود سورة ١١ ايـة ٩٥ ، سورة الحـج ، سورة ٢٢ اية ٤٢ ، سورة الشعراء ، سورة ٢٦ اية ١٤١ ، سورة الحاقة ، سورة ٦٩ اية ٤ ، سورة ق ، سورة ٥٠ اية ١٤ ، سورة الدخان ، سورة ٤٤ اية ٣٧ ، سورة الفيل ، سورة ١٠٥ ، اية ١ ، سورة البروج ، سورة ٨٥ اية ٤ .

في الإسلام وفي الحياة وفي المثل الجاهلية. وفيه تعرّض لنواح من الحياة الاقتصادية والسياسية عندهم ، وذكر تجارتهم مع العـالم الخارجي ، ووقوفهم على تيارات السياسة العالمية ، وانقسام الدول الى معسكرين ، وفيه أمور أخرى تخص الجاهلية وردت فيه على قدر ما كان لها من علاقة بمعارضة قريش للقرآن والإسلام. وفي كل ما ورد فيه دليل على أن صورة الإخباريين التي رسموها للجاهلية ، لم تكن صورة صحيحة متقنة ، وأن ما زعموه من عزلة جزيرة العرب ، وجهل العرب وهمجيتهم في الجاهلية الجهلاء ، كان زعماً لا يؤيده القرآن الكريم الذي خالف كثيراً مما ذهبوا اليه .

والتفسير ، مصدر آخر من المصادر المساعدة لمعرفة تأريخ العرب قبل الإسلام. وفي كتب التفسير ثروة تأريخية قيمة تفيد المؤرخ في تدوين هذا التأريخ ، تشرح ما جاء مقتضباً في كتاب الله ، وتبسط ما كان عالقاً بأذهان النـاس عن الأيام التي سبقت الإسلام ، وتحكي ما سمعوه وما وعوه عن القبائل العربية البائدة التي ورد لها ذكر مقتضب في السور،وما ورد عندهم من أحكام وآراء ومعتقدات .

ولكن كتب التفاسير – ويا للأسف – غير مفهرسة ولا مطبوعة طبعاً حديثاً، وهي في أجزاء ضخمة عديدة في الغالب ، ولهـذا صعب على الباحثين الرجوع اليها لاستخراج ما يُحتاج اليه من مادة عن التأريخ الجاهلي ، حتى ان المستشرقين المعروفين بصبرهم وبجلدهم وبعـدم مبالاتهم بالتعب ، لم يأخذوا من معينها إلا قليلاً ،مع أن فيها مادة غنية عن نواح كثيرة من أمور الجاهلية المتصلة بالإسلام .

وكتب الحديث وشروحها ، هي أيضاً مورد غني من الموارد التي لا بد منها لتدوين أخبار الجاهلية المتصلة بالإسلام ، اذ نجد فيهـا أموراً تتحدث عن نواح عديدة من أحوال الجاهلية لا نجدها في مورد آخر . فلا مندوحـة من الرجوع اليها والأخذ منها في تدوين تأريخ الجاهلية . ولكن أكثر من بحث في التـأريخ الجاهلي لم يغرف من هذا المنهل الغزير ، بسبب عدم انتباههم لأهميته في تدوين تأريخ عرب الحجاز عند ظهور الإسلام ، فعلينا نحن اليوم واجب الأخذ منه ، لنزيد علمنا بتأريخ هذه الجاهلية المتصلة بالإسلام .

والشعر الجاهلي ، مورد آخر من الموارد التي تساعدنا في الوقوف على تأريخ الجاهلية والاطلاع على أحوالها ، وقديماً قيل فيه إنه (ديوان العرب) . « عن عكرمة . قال : ما سمعت ابن عبّاس فسّر آية من كتاب الله ، عز وجلّ ،

إلاّ نزع فيها بيتاً من الشعر ، وكان يقول : إذا أعياكم تفسير آيـة من كتاب الله ، فاطلبوه في الشعر ، فإنه ديوان العرب ، وبه حُفظت الأنساب ، وعرفت المآثر ، ومنه تعلمت اللغة ، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله ، صـلى الله عليه وسلم ، وحديث صحابته والتابعين »[1] .

« وعن ابن سيرين . قال : قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »[2] . وقال الجمحي فيه ، أي في الشعر الجاهلي : (وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم،ومنتهى حكمهم ، به يأخذون،وإليه يصيرون[3] .)

وقد جُمع الشعر الجاهلي في الإسلام ، جمعه رواة حاذقون ، تخصصوا برواية شعر العرب . قال (محمد بن سلام الجمحي) : « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها ، حمّاد الراوية ، وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل غيره، ويزيد في الأشعار »[4] . واشتهر بجمعه أيضاً (أبو عمرو بن العلاء) المتوفى سنة (١٥٤) للهجرة[5] ،وخلف بن حيّان أبو محرز الأحمر[6] ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، والمفضّل بن محمد الضبّي الكوفي[7] صاحب المفضليات ، وهي ثمان وعشرون قصيدة ، قد تزيد وقد تنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية[8].

---

١ المزهر (٤٧٠/٢) ، (واخرج ابو بكر الانباري في (كتاب الوقف) من طريق عكرمة عـن ابـن عباس ، قال : اذا سالتم عـن شيء من غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العـرب) ، المزهـر (٣٠٢/٢) ، التبريزي ، شرح الحماسة (٣/١) .

٢ الجمحي : طبقات الشعراء (ص ١٠) (طبعة لندن).

٣ طبقات الشعـراء (ص ١٠) .

٤ طبقات الشعراء (ص ١٤) ، توفي حماد سنة ١٥٦ للهجرة ، الفهرست (ص ١٤٠) .

٥ البيان والتبيين (٣٢١/١) ، المزهـر (٣٠٤/٢) ، الفهـرست (ص ٤٨)–

٦ (وكان مـن امرس الناس لبيت شعر ، وكان شاعرا يعمل الشعر على لسان العرب وينحله اياهم ... وله مـن الكتب : كتاب العرب وما قيل فيها من الشعر) ، الفهرست (ص ٨٠)

٧ طبقات الشعراء (ص ٩) ، الفهرست (ص ١٠٨) .

٨ الفهرست (ص ١٠٨) .

وأبو عمرو اسحاق بن مرار الشيباني المتوفي سنة ٢٠٦ للهجرة[١] ، قيل : إنه جمع أشعار العرب ، فكانت نيفاً وثمانين قبيلة[٢] . وأبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، المتوفي سنة ٢٣١ للهجرة[٣] ، وأبو محمد جنّاد بن واصل الكوفي[٤] ، وخلاّد بن يزيد الباهلي[٥] ، وغيرهم ممن تفرغوا له ، وصرفوا جلّ وقتهم في جمعه وحفظه وروايته .

(قال ابن عوف عن ابن سيرين . قال : عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد ، وغزوا فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يئلوا الى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب ، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عنهم أكثره)[٦] . وورد عن (أبي عمرو بن العلاء) انه قال : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير)[٧] . ولا جدال بين العلماء حتى اليوم في موضوع ذهاب أكثر الشعر الجاهلي ، وفي أن الباقي الذي وصل الينا مدوناً في الكتب ، هو قليل من كثير . وقد عللوا سبب اندثار أكثره وذهابه بسبب عدم تدوين الجاهليين له ، واكتفائهم بروايته حفظاً، فضاع بتقادم الزمان، وبموت الرواة ، وبانطماس أثره من الذاكرة ، وبانشغال الناس بأمور أخرى عن روايته ، ولا سيما رواية القديم منه الذي لم يعد يؤثر في العواطف تأثير الجديد منه الذي قيل قبيل الإسلام .

نعم جاء في الأخبار أنه (قد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار

---

١ (وأخذ عند دواوين اشعار القبائل كلها) ، (قيل مات في اليوم الذي مات فيه ابو العتاهية وابراهيم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومائتين) ، الفهرست (ص ١٠٧ وما بعدها)

٢ الفهرست (ص ١٠٧) .

٣ الفهست (ص ١٠٨ وما بعدها) .

٤ (كان من اعلم الناس بأشعار العرب وأيامها) الفهرست (ص ١٤١) .

٥ الفهرست (ص ١٦٢) .

٦ طبقات الشعراء (ص ١٠) .

٧ المصدر نفسه .

الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان أو ما صار منه)[1] . وورد عن « حمّاد الراوية » أنه ذكر أن النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب في الطّنوج ، وهي الكراريس ، فكتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبي عبيد ، قيل له : إنّ تحت القصر كنزاً ، فاحتفره ، فأخرج تلك الأشعار[2] .

ووردت عنه أيضاً حكاية أهل مكة للمعلقات على الكعبة[3] . ووردت أخبار أخرى تدل على وجود تدوين للشعر عند الجاهليين . الا اننا لا نجد حماداً ولا غير حماد ينص على أنه نقل ما دوّنه من تلك الموارد المدونة أو من غيرها مما وجده مدوّناً . وهذا ما حدا بالعلماء قديماً وحديثاً إلى البحث في هذا الموضوع : موضوع الشعر الجاهلي من ناحية وجود تدوين له ، أو عدم وجود تدوين له . وأثر ذلك على درجة ذلك الشعر من حيث الصحة والأصالة والصفاء والنقاء[4] .

وفي الشعر الجاهلي الواصل الينا ، شعر صحيح وشعر موضوع منحول حمل على الشعراء . وقد شخص أهل الفراسة بالشعر الصحيح منه ونصوا على أكثر الفاسد منه . ولم يقل أحد منهم أن الشعر الجاهلي موضوع كله ، فاسد لا أصل له . فدعوى مثل هذه ، هي دعوى كبيرة لا يمكن ان يقولها أحد . إنما اختلفوا في درجة نسبة الصحيح إلى الفاسد ، أو نسبة الفاسد إلى الصحيح .

« وكان ممن هجّن الشعر وأفسده وحمل كل غُثاء ، محمد بن اسحاق مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان من علماء الناس بالسير فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ، ويقول لا علم لي بالشعر انما أوتى به فأحمله ،

---

١ طبقات الشعراء (ص ١٠) ، المزهر (٤٧٤/٢) .

٢ تاج العروس (٧٠/٢) ، لسان العرب (١٤٢/٣) الخصائص لابن جني (٣٩٢/١ وما بعدها) .

٣ المزهر (٤٨٠/٢) ، ياقوت ، ارشاد الاديب (١٤٠/٤) .

٤ طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، ١٩٢٦ ، ثم في الادب الجاهلي ، مصطفى صادق الرافعي : تاريخ اداب العرب ، وتحت راية القران ، محمد الخضري : محاضرات في بيان الاخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي محمد الخضر حسين : نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، محمد احمد الغمراوي : النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي ، محمد فريد وجدي : نقد كتاب الشعر الجاهلي ، محمد لطفي جمعة : الشهاب الراصد .

ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قطّ ، وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود أفلا يرجع الى نفسه : فيقول من حمل هذا الشعر ، ومن أداه منـذ ألوف من السنين ، والله يقول : (وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى) . وقال في عاد : (فهل ترى لهم من باقية). وقال : (وعاداً وثمود والـذين من بعدهم لا يعلمهم إلاّ الله)[1] .

واتّهم (حمّاد الرواية) بالكذب وبوضع الشعر على ألسنة الشعراء ، فقيـل فيه : (وكان غير موثوق بـه . كان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الأشعار)[2] . وقـال (أبو جعفر النحاس) المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة في أمر (المعلقات) : (إن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت مـا ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة)[3] ، واتهم غيره ممن ذكرت من جهابذة حفظة الشعر الجاهلي بالوضع كذلك . وقد نصوا في كثير من الأحايين على ما وضعوه ، وحملوه على الجاهليين . وذكروا أسباب ذلك بتفصيل[4] ، كالذي فعله مصطفى صادق الرافعي في (تأريخ آداب العرب)[5] .

وبعد هذه الكلمة القصيرة في الشعر الجاهلي — الذي سأتحدث عنه بإطناب في الجزء الخاص باللغة — أقول : إن اليه يعود فضل بقاء كثير من الأخبار المتعلقة بالجاهلية ، فلولاه لم نعرف من أمرها شيئاً . ولست مبالغاً اذا قلت ان كثيراً من الأخبار قد ماتت لموت الشعر الذي قيل في مناسباتها ، وان أخباراً خلقت خلقاً ، لأن واضع الشعر أو راويه اضطر الى ذكر المناسبـة التي قيل فيها ، فعمد الى الخلق والوضع . وهو من ثم صار سبباً في تخليد الأخبار[6] ، لسهولة حفظه ، ولاضطرار راويه الى قص المناسبة التي قيل فيها .

وما قلته في أهمية الشعر الجاهلي بالقياس الى عمل مؤرخ الجاهليـة ، ينطبق

---

١ طبقات الشعراء (ص ٤) .
٢ طبقات الشعراء (ص ١٤) .
٣ المزهـر (٢/٤٨٠) .
٤ طبقات الشعراء (ص ١٥، ٦٠، ٦١ وما بعدها ، ومواضع عديدة اخرى)
٥ راجع الصفحات ٢٧٧ فما بعدها .
٦ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (تاريخ) (ص ٤٨٤) ، الترجمة العربية ،

أيضاً على أهمية شعر الشعراء المخضرمين بالقياس الى عمل هذا المؤرخ ، فقد أسهم أكثر الشعراء المخضرمين في أحداث وقعت في الجاهلية ، وكان منهم من جالس (آل نصر) و (آل غسان) ، وبقيـة سادات العرب ، فورد في شعرهم أخبارهم وأحوالهم وطباعهم وغير ذلك . كما نجد في شعرهم مادة عن الحياة العقلية والمادية في أيامهم . ثم ان حياتهم اتصلت بالإسلام ، فلم يكن شعرهم وما قالوه ورووه بعيداً عهدٍ عن أهل الأخبار ورواة الشعر ، وهو من ثم أقرب الى المنطق والواقع من شعر الجاهليين لبعدهم عن الرواة بعض البعد .

ولم ينج هذا الشعر أيضاً من الوضع ، فحمل على بعض الشعراء مثل (حسان ابن ثابت) بعض الشعر لأغراض ، منها العصبية القبيلية ، كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد. وفي الجملة إن المؤرخ الحاذق الناقد لن تفوته هذه الملاحظة حين رجوعه الى هذا الشعر والى ما ورد على ألسنة الشرّاح .

وتعرضت كتب السيَر والمغازي لأخبار الجاهلية بقـدر ما كان للجاهلية من صلة بتاريخ الرسول ، كما تعرضت لهـا كتب الأدب وكتب الأنساب والمثالب والبيوتات ومجامع الأمثال والكتب التي ألّفت في أخبار المعمرين ، وفي الأيام ، وفي البلدان ، وفي المعجمات والجغرافية والسياحات وغير ذلك ، فورد في ثناياها أخبار قيّمة عن هذه الجاهلية المتصلة بالإسلام . وهي موارد عظيمة الأهمية لمؤرخ هذه الحقبة ، كثيرة العدد ، هيأها عدد كبير من العلماء ، لا يمكن استقصاؤهم في هذه المقدمة ، ولا التحدث عن مؤلفاتهم ، وهو حديث يحتاج الى فصول .

على أنّا يجب أن نأخذ بعض هذه الموارد المذكورة بحذر جدّ شديد ، ولا سيما كتب (الأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب) ، فإنّ مجال الوضع والصنعة بها واسع كبير ، لما للعواطف القبيلية فيها من يد ودخل ، وللحزبيـة والأغراض فيها من تأثير . وطالما نسمع أن فلاناً وضع كتاباً في مثالب القبيلـة الفلانية أو في مدحها ترضية لرجال تلك القبيلة ، أو لحصوله عـلى مال منها . ومن هنا وجب الاحتراس كل الاحتراس من هذه الموارد ، ووجوب نقد كل رواية فيها قبل الاعتماد عليها والأخذ بها كمورد صحيح دقيق .

وفي كتب الأدب ثروة تأريخية قيمة ، مبثوثة في صفحاتها ، لا نجد لها مثيلاً ولا مكاناً في كثير من الأحايين في كتب أهل التأريخ عن التأريخ الجاهلي، حتى اني لأستطيع أن أقـول إن ما أورده رجال الأدب عنه هو أضعاف أضعاف ما

رواه المؤرخون عـــن ذلك التأريخ ، وأن ما جاءت به كتب الأدب عن ملوك الحيرة وعن الغساسنة وعن ملوك كندة وعن أخبار القبائل العربية ، هـــو أكثر بكثير مما جاءت به كتب التأريخ ، بل هو أحسن منها عرضاً وصفاءً ، وأكثر منها دقـــة . ويدل عرضه بأسلوبه الأدبي المعروف على أنه مستمد من موارد عربية خالصة ، وقد أخذ من أفواه شهود عيان ، شهدوا ما تحدثوا عنه . وقد أفادنا كثيراً في تدوين تأريخ الجاهلية الملاصقة للإسلام ، ولشأنه هـذا أودّ أن ألفت أنظار من يريد تدوين تأريخ هذه الحقبة اليه ، وأن يرعاه بالرعاية والعناية وبالنقد ، وسيحصل عندئـــذ على رأي لا يستطيع العثور عليـــه في كتب أهل التاريخ .

وقد صارت كتب المؤرخين المسلمين لذلك ضعيفة جداً في باب تأريخ العرب قبل الإسلام ، ومادتها عن الجاهلية هزيلة جدّ قليلة بالقياس إلى ما نجده في كتب التفسير والحديث والفقه والأدب وشروح دواوين الشعراء الجاهليـــين والمخضرمين والموارد الأخرى . والغريب أن تلك الكتب اكتفت في الغالب بإيراد جريدة لأسماء ملوك الحيرة أو الغساسنة أو كندة أو حمير ، مع ذكر بعض مـــا وقع لهم في بعض الأحيان ، على حين نجد كتب الأدب تتبسط في الحديث عنهم، وتتحدث عن حوادث وأمور لا نجد لهـــا ذكراً في كتب المؤرخين ، بل نجد فيها أسماء ملوك لم تعرفها كتب التاريخ ، مما صيرها في نظري أكثر فائدة وأعظم نفعـــاً لتأريخ الجاهلية من كتب المؤرخين .

المؤرخون المسلمون :

لا نتمكن من الاطمئنان الى هذه الأخبار والروايات المدونة في الموارد الإسلامية عن الجاهلية، الا اذا وقفنا بها الى حدود القرن السادس للميلاد أو القرن الخامس على أكثر تقدير . أما ما روي على أنه فوق ذلك، فإننا لا نتمكن من الاطمئنان اليه ، لأنه لم يرد به سند مدون ، ولم يؤخذ من نص مكتوب ، وانما أخذ من أفواه الرجال ، ولا يؤتمن على مثـــل هذا النوع من الرواية ، لأننا حتى اذا سلمنا ان رواة تلك الأخبار كانوا منزهين عن الميول والعواطف ، وانهم كانوا صدوقين في كل ما رووا ، وكانوا أصحاب ملكة حسنة ذات قدرة في النقد وفي

التمييز بين الصحيح والفاسد، فإننا لا نتمكن من أن نسلم أن في استطاعة الذاكرة أن تحافظ على صفاء الرواية وان تروي القصة وما فيها من كلام وحديث بالنص والحرف حقبة طويلة. لذا وجب علينا الحذر في الاعتماد على هذه الموارد وتمحيص هذا المدون الوارد ، وان تكاثر واشتهر وتواتر، فقد كان من عادة رواة الأخبار رواية الخبر الواحد دون الإشارة الى منبعه ، ويُتداول في الكتب ، فيظهر وكأنه من النوع المتواتر في حين انه من الأخبار الآحاد في الأصل .

ولا أدري كيف يمكن الاطمئنان الى نص قصة طويلة فيها كلام وحوار أو قصيدة طويلة زعم ان التبع فلاناً نظمها ، في حين أننا نعلم أن الذاكرة لا يمكن أن تحفظ نصاً بالحرف الواحد إذا لم يكن مدوناً مكتوباً ، ولهذا جوّز أهل الحديث رواية حديث الرسول بالمعنى ، إذا تعذرت روايته بالنص . ولا أعتقد ان عناية العرب المسلمين بحديث رسول الله كانت أقل من عنايتهم برواية ما جرى مثلاً بين النعمان بن المنذر وبين كسرى من كلام ، أو من رواية ذلك الكلام المنمق والحديث الطويل العذب ، الذي جرى بين وفد النعمان الذي اختاره من خيرة ألسنة القبائل المعروفة بالكلام ، وبين كسرى المذكور[1] .

ومن هذا القبيل نصوص المفاخرات والمنافرات ، فإن مجال لعب العاطفة فيها واسع رحيب . وكذلك كل الأخبار والروايات النابعة عن الخصومات والمنافسات بين القبائل أو الأشخاص ، فإن الوضع والافتعال فيها شائع كثير ، ولا مجال للكلام عليه في هذا الموضع ، لأنه يخرجنا من حدود التأريخ الجاهلي ، الى موضوع آخر ، هو نقد الروايات والأخبار والرواة ، وهو خارج عن هذا الموضوع .

لقد تحدث أهل الأخبار عن عاد وثمود وطَسْم وجديس وجُرْهُم وغيرهم من الأمم البائدة ، وتكلموا على المباني (العادية) وعن جن سليمان وأسلحة سليمان، ورووا شعراً ونثراً نسبوه الى الأمم المذكورة والى التبابعة ، بل نسبوا شعراً إلى آدم ، زعموا أنه قاله حين حزن على ولده وأسف على فقده ، ونسبوا شعراً الى (ابليس) ، قالوا إنه نظمه في الردّ على شعر (آدم) المذكور ، وأنه أسمعه

---

1 راجع النصوص في بلوغ الارب (١٤٧/١ فما بعدها) .

(آدم) بصوته دون أن يراه[1] . ورووا أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل .

ولكن هل يمكن الاطمئنان إلى قصص كهذا يرجع أهل الأخبار زمانه إلى مئات من السنين قبل الإسلام ، والى أكثر من ذلك ، ونحن نعلم ، بتجاربنا معهم ، أن ذاكرتهم اختلفت في أمور وقعت قبيل الإسلام ، واضطربت في تذكر حوادث حدثت في السنين الأولى من الإسلام . كيف يمكننا الاطمئنان الى ما ذكروه عن التبابعة وعن أناس زعموا أنهم عاشوا دهراً طويلاً قبل الإسلام ، ونحن نعلم من كتابات المسند ومن المؤلفات اليونانية والسريانية ، أنهم لم يكونوا على ما ذكروه عنهم ، وأنهم عاشوا في أيام لم تبعد بعداً كبيراً عن الإسلام ، وأنهم كانوا يكتبون بالمسند وبلسان يختلف عن هذا اللسان الذي نزل به القرآن. ثم خذ ما ذكروه عن حملة (أبرهة) على مكة وعن أبرهة نفسه ، وعن (أبي رغال) ، وعن حادث نجران وذي نواس ، وعن خراب سدّ مأرب ، وعن أمثال ذلك من حوادث وأشخاص سيرد الكلام عليها في أجزاء هذا الكتاب ، تجد أن ما ذكروه عنها وعنهم يتحدث بجلاء وبكل وضوح عن جهل بالواقع وعن عدم فهم لما وقع ، وعن عدم ادراك للزمان والمكان ، وعن عدم معرفة بالأشخاص . فرفعوا تواريخ بعض تلك الحوادث إلى مئات من السنين ، وخلطوا في بعض منها ، وفي كل ذلك دلالة على أن ما حفظته الذاكرة ، لم يكن نقياً خالصاً من الشوائب ، وأن الذاكرة لا يمكن أن تحافظ على ما تحفظه أمداً طويلاً وأن آفات النسيان وتلاعب الزمان بالحفظ لا بد أن يغير من طبائع المحفوظ .

والاخباريون إذْ رووا ذلك ودوّنوه ، لم يكونوا أول من وضع وصنع وافتعل وجاء بالقصص والأساطير على أنها باب من أبواب التأريخ ، فقد فعل فعلهم اليونان والرومان والعبرانيون وسائر الشعوب الأخر ، يوم أرادوا تدوين تواريخ العصور التي سبقت عندهم عصور الكتابة والتدوين ، إذ لم يجدوا أمامهم غير هذا النوع من الروايات الشفوية البدائية التي عبث بصفائها الزمان كلما طال أجلها الى زمن التدوين ، فدوّنوه ورووه ، إلى أن وصل الينا على النحو المكتوب .

وللسبب المذكور نرى في الأخبار الواردة عن ملوك الحيرة ، أو عن صلات الفرس بالعرب أخباراً قريبة الى منطق التاريخ والى الواقع يمكن أن نأخذ بها وأن

---

1 مروج الذهب (٢٦/١ وما بعدها) ، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)

نستعين بها في تدوين تاريخ الحيرة وتاريخ الساسانيين مع العرب . ويعود سبب ذلك الى رجوع الرواة الى موارد مدونة ، أو الى شهود عيان أدركوا أنفسهم الحوادث ، وكلها من الحوادث القريبة من الإسلام والتي وقع بعضها في أيام الرسول . أما حوادث آل نصر ، أو أخبار الفرس مع العرب البعيدة ، فلا نجد فيها هذا الصفاء والنقاء ، بل نجد فيها قترة وغبرة ، لتقلها بالسماع والمشافهة وتقادم العهد على السماع . وهكذا صار تاريخ الحيرة المروي في التواريخ غيوماً تتخللها فجوات متبعثرة تنبعث منها أشعة الشمس .

نعم جاء أن أهل الحيرة كانوا يُعنون بتدوين أخبارهم وأنساب ملوكهم وأعمار من ملك منهم ، وكانوا يضعون ذلك في بيع الحيرة[1] . وورد ان النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج ، وهي الكراريس ، فكتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض . فلما كان المختار بن أبي عبيدة ، قيل له : إن تحت القصر كنزاً ، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار[2] . وذكر ابن سلام الجُمَحي انه (كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، فصار ذلك الى بني مروان ، أو ما صار منه)[3] .

ولكنني على الرغم من ورود هذه الأخبار لا أستطيع أن أقف منها الآن موقفاً ايجابياً ، إذ لم أسمع أن أحداً من رواة الشعر ذكر أنه رجع الى تلك الطنوج والدواوين فأخذ منها ، أو أن بني مروان عرضوها على أحد . ولو كانت تلك الدواوين موجودة ، لم يسكت عنها رواة الشعر الجاهلي وطلابه الذين كانوا يبحثون عنه في كل مكان . ثم إن الأخباريين يذكرون ان (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ، كان يرسل الى (حمّاد) رسلاً ليأتوا اليه بما يريد الوقوف عليه من الشعر الجاهلي ، وأنه (جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها الوليد بن يزيد بن عبد الملك وردّ الديوان الى حمّاد وجناد)[4] ، وأنه أحضره الى الشام ، واستنشده أشعار (بكليّ) وأشعاراً أخرى[5] ، ولو كان لدى (بني

---

١ الطبري (٢/٣٧) .
٢ تاج العروس (٢/٧٠) ، لسان العرب (٣/١٤٢) ، ابن جني ، الخصائص (١/٣٩٢ وما بعدها)
٣ طبقات فحول الشعراء (ص ١٠) ، المزهر (٢/٤٧٤) .
٤ الفهرست (ص ١٤٠)
٥ الاغاني (٦/٩٤) .

مروان) ديوان (النعمان بن المنذر) الذي جمع فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته ، لما احتاج (الوليد) الى أن يسأل حماداً وجناداً لرسلا اليه ديوان العرب ، وهو ديوان لا ندري اليوم من أمره شيئاً ، ولم يذكر (ابن النديم) صاحب الخبر ، ما علاقة الرجلين المذكورين بذلك الديوان . هل كانا اشتركا معاً في جمعه، أو أن كل واحد منهما قد جمع بنفسه الأشعار في ديوان ، فأرسل الوليد اليهما يطلب منهما ما جمعاه ، ليجمعه مع ما عنده في ديوان .

ثم إننا لم نسمع أحداً يقول: (كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر ابن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم ، لآل كسرى ، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها)[1] ، غير الراوية (هشام بن محمد الكلبي) . فلِمَ وقف (ابن الكلبي) وحده على تلك الكنوز ، ولم يلجأ غيره الى بيع الحيرة ، ليأخذ منها أخبار نصر ؟ ألم يعلم بوجودها أحد غيره ؟ ثم لم اختلفت روايات (ابن الكلبي) وتناقضت في أمور من تأريخ الحيرة ، ما كان من الواجب وقوع اختلاف فيها، ولِمَ لجأ أيضاً الى رواية القصص والأساطير عن منشأ (الحيرة) ، وعن (عمرو بن عدي) ، وعن جذيمة ، وعن (قصر الخورنق) وعن غير ذلك ، ليقصها على أنها تأريخ آل نصر[2] . أيعد هذا دليلاً على أخذه من موارد قديمة مكتوبة مدوّنة ؟ نعم ، من الجائز أن يكون قد أخذ من صحف كانت قد دوّنت أسماء آل نصر المتأخرين ، وبعض الأخبار المتعلقة بهم ، أما أنه أخذ أخبارهم كاملة مدوّنة من كتاب أو من كتب تأريخ بالمعنى المفهوم من الكتاب ، فذلك ما أشك فيه ، لأن الذي ينقل أخباره من كتاب في التأريخ لا يروي تاريخ تلك الأسرة وتاريخ عربها على الشكل الذي رواه.

قال (الطبري) : (وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولاة ملوك الفرس وعمّالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة ، متعالماً ، مثبتاً عندهم في كنائسهم وأسفارهم)[3] ، وتدل هذه الملاحظة التي تؤيد رواية (ابن الكلبي) المتقدمة — ولعلّ (الطبري) أخذها من رواية لابن

---

١ الطبري (٦٢٨/١) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٢ الطبري (٦٠٩/١ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) .
٣ الطبري (٦٢٨/١) (طبعة دار المعارف بمصر) .

الكلبي ، دون أن يشير اليه ، — على وجود أسفار في تواريخ أهـل الحيرة ، إلاّ أني أعود فأقول إن أكثر المروي عنهم ، لا يدل على أنه منقول من موارد مدوّنة ، لما فيه من اضطراب وتناقض ، ولغلبة طابع الروايات الشفوية عليه . والأخبار الوحيدة التي يمكن أن تكون منقولة من موارد مدوّنة ، هي الأخبار المتأخرة التي تعود الى أواخر أيام الحيرة ، الأيام المقاربة للإسلام الى زمن فتح المسلمين لها . ثم إن لقربها من زمن التدوين علاقة بوضوح هذه الأخبار المتأخرة وبدرجة صفائها .

ولا تعني هذه الملاحظات اننا ننكر وجود مدوّنات عند أهل الحيرة في التاريخ أو في الشعر أو في أي موضوع آخر ، ولا أعتقد أن في استطاعة أحد نكران وجود التأليف عندهم . فقد ورد في التواريخ الكنائسية أسماء رجال من أهـل الحيرة ساهموا في المجالس الكنائسية التي انعقدت للنظر في أمور الكنيسة ومشكلاتها، ومنهم من برز وألّف في موضوعات دينية وتاريخية ، كما ورد في أخبار أهل الأخبار أن أهل الحيرة كانوا يتداولون قصص رستم واسفنديار وملوك فارس ، وأن (النضر بن الحارث) الذي كان يعارض الرسول،تعلّم منهم،وكان يحدّث أهل مكة بأخبارهم معارضاً رسول الله ، ويقول : أينا أحسن حديثاً ؟ أنا أم محمد[1] ؟

ولا بد أن يكون معين القصص الذي تعلمه (النضر بن الحارث هو في هذا المعين المدون في كتب الفرس . وقـد كانت للفرس كتب في سير ملوكهم وآدابهم ترجم بعضها في الإسلام ، مثل كتاب (سير العجم)[2] ، أو (كتاب خداي نامه)[3] ، أو كتاب (سير الملوك) أو (سير ملوك العجم) ، ترجمة (عبدالله بن المقفع) و (كتاب التاج)[5] للمترجم نفسه ، وكتب أخرى لم تترجم

---

١ سيرة ابن هشام (٣٨١/١) (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .
٢ ابن قتيبة : عيون الاخبار (١١٧/١) .
٣ الفهرست (ص ١٧٢) ، (خداي نامه ، وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية الى العربية سمي كتاب تاريخ ملوك الفرس) ، حمزة (ص ١٥) ، (وهو في حكاية جمل ما في خداى نامة لم يحكها ابن المقفع ولا ابن الجهم ، فجئت بهـا في اخـر هذا الكتاب ....) ، (كتاب خدينامه في السير) ، حمزة (ص ٤٣) .
٤ عيون الاخبار (١١٧/١) .
٥ عيون الاخبار (٥/١) ، (كتاب التاج في سيرة انوشروان) ، الفهرست (ص ١٧٢)

كانت شائعة عند الفرس معروفة ، يحافظون عليها ويتداولونها ، منها استمد المؤرخون العرب الإسلاميون أخبار الفرس ومن حكم منهم من ملوك[1] :

ولقد قال (كولد تزهير) و (بروكلمن) بوجود أثر فارسي في ظهور علم التأريخ عند المسلمين[2] . أما أثر الموارد الفارسية في مادة الفصول المدونة عن الفرس وعن ملوك الحيرة ، فواضح ظاهر ، ولا يمكن لأحد الشك فيه ، وأما أثرها فيما عدا ذلك ، ولا سيما في كيفية عرض التأريخ وفي أسلوب تدوينه وتبويبه ، فدعوى أراها غير صحيحة ، لأن طريقة الابتداء بالزمان ثم ابتداء الخلق وعدد أيام الخلق وخلق آدم ثم التحدث عن الأنبياء بحسب تسلسل رسالاتهم ، وهي الطريقة التي سار عليها من دوّن في التأريخ العام من المسلمين مثلاً ، كما فعل (الطبري) في تأريخه ، طريقة لا يمكن أن تكون فارسية ، لأن الفرس مجوس ، والمجوس لا يعتقدون بهؤلاء الرسل والأنبياء . والصحيح ، انها طريقة المؤرخين الذين جاؤوا بعد الميلاد ، فهم الذين روّجوا الأسلوب المذكور في تدوين التأريخ . ويمكن ادراك ذلك من المقابلة بين الأسلوبين : الأسلوب الإسلامي في تدوين التأريخ وفي كيفية تبويبه وتصنيفه وأسلوب الكتب التأريخية المدونة في اليونانية وفي السريانية الى زمن تدوين التأريخ عند المسلمين .

والرأي عندي أن علمنا بأسلوب التأريخ عند الفرس : كيفية عرضه وطرقه وتبويبه علم نزر ، لأن ما وصل الينا من كتبهم معدود محدود ، وما ورد فيه سيَر ملوكهم وأيامهم وما نجده مترجماً ومنشوراً في المؤلفات العربية ، هو من نوع القصص الذي يغلب عليه الطابع الأدبي ، فيه أدب السلوك ومواعظ الحكم وأقوال في الحكمة ، وحتى القسم المتصل منه بالتأريخ قد وضع بأسلوب عاطفي أدبي . ومن هنا ابتعد عن أسلوب المؤرخين اليونان واللاتين ، وعن أسلوب المؤرخين الذين ظهروا بعد الميلاد . وقد يكون لاختلاف الذوق دخل في اختلاف الأسلوبين . ومهما يكن من أمر فأنا لا أريد أن أكون متسرعاً عجولاً في اصدار حكم على فن التأريخ عند الفرس ، فأبغض الأشياء إليّ التسرع في اصدار الأحكام

---

١ المسعودي : مروج (١/١٤٦) ، (وقد ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، عن عمر كسرى في كتاب له في اخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف ...) ، المروج (١/١٩٩) ، التنبيه والاشراف (ص ٩٢) .

٢ الموسوعة الاسلامية ، مادة : تاريخ .

في التأريخ ، ومن الحكمة وجوب التريث والانتظار ، فلعل الأيام تتحفنا بتواريخ فارسية ، ترينا أن للفرس رأياً أصيلاً في التأريخ ، وأن لهم طريقة المؤرخين في تدوين تأريخ العالم وتأريخ بلادهم وفي تدوين سير الملوك والأشخاص ، وأنهم كانوا قد عينوا مراسلين يلازمون جيوشهم لتدوين أخبار الحروب ، كما فعل الروم ، ولكن بعقلية مستقلة لم تتأثر بطريقة اليونان واللاتين .

ويكاد يكون أكثر ما دوّن عن (الغساسنة) في المؤلفات العربية الإسلامية مأخوذاً من الروايات الواردة عن ملوك الحيرة وعرب الحيرة ، أنداد الغساسنة ، ولذلك لم تكن في جانبهم ، وتكاد تلك الأخبار ترجع في الغالب إلى شخص واحد ، تخصص بأخبار الحيرة وملوك الفرس ، هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وهو الذي روى هذه الأخبار اعتماداً على بحوثه الخاصة ، وعلى البحوث والدراسات التي قام بها والده من قبله . ويجب أن نجعل لهذه الملاحظات الاعتبار الأول في تدوين تاريخ الغساسنة . وقد وردت أخبارهم في الطبري مع أخبار ملوك الحيرة والفرس لهذا السبب . وأما في سائر الأصول التاريخية الأخرى، فهي مقتضبة ، وقد اكتفى بعض المؤرخين بايراد جريدة بأسماء الملوك ، وهو عمل ينبئك بقلة بضاعة القوم في تاريخ عرب الشام . وعلى كل حال ، فاننا نجد في كتب الأدب وفي دواوين الشعر عوناً لنا في تدوين ، تاريخ غسان ، قد يسد بعض الفراغ في تاريخ هذه الإمارة ، وان كان ذلك كلّه لا يكفي ، بل لا بد من الاستعانة بأصول أعجمية من يونانية وسريانية ، ففيها مواد عن نواح مجهولة من هذا التاريخ ، كما أنها تصحح شيئاً مما ورد في الموارد العربية من أغلاط[1] .

ولقد تأثرت روايات (ابن الكلبي) بطابع التعصب لأهل الحيرة على الغساسنة، لاعتماده على روايات أهل الحيرة وعلى أهل الكوفة في سرد تاريخ الغساسنة ،وقد كان ملوك الحيرة أنداداً لملوك الغساسنة ، ولهذا تتعارض رواياته وروايات من استقى من هذا المورد مع روايات علماء اللغة والأدب والشعر التي وردت استطراداً عن أهل الحيرة أو الغساسنة ، وذلك في أثناء شرحهم لفظة أو بيت شعر أو قصيدة أو ديواناً أو حياة شاعر كانت له علاقة بالحيرة أو بالغساسنة ، أو عن

---

1 امراء غسان لنولدكه ، ترجمة الدكتور قسطنطين زريق والدكتور بندلي جوزي ، (بيروت سنة ١٩٣٣) (ص ١ — ٢) .

قصة من القصص، وما شاكل ذلك . ومرجع أولئك الروايات العربية الخالصة، وقد استمدت من رجال كانوا شاهدي عيان، أو رووا ما سمعوه من أفواه الناس، ويمكن ادراك اتجاهها وميولها بوضوح ، ولهذا تجب الموازنة بين الروايتين .

أما روايات أهـل (يثرب) أي (المدينة) ، فهي في مصلحة الغساسنة في الأكثر ، وقد كانوا على اتصال دائم بهم، ولهم تجارات معهم ، وكان شعراؤهم يفتخرون بانتسابهم هم وآل غسان إلى أصل واحد ودوحة واحدة هي الأزد . ولهذا يستحسن التفكير في هذا الأمر بالنسبة الى روايات أهل المدينة ، ولا سيما أخبار حسان بن ثابت الأنصاري عن آل غسان .

ومما يؤسف عليه أن المؤرخين المسلمين لم يغرفوا من المناهل اليونانية واللاتينية والسريانية لتدوين أخبارهم عن تأريخ العرب قبل الإسلام ، لا قبل الميلاد ولا بعده ، مع أنها أضبط وأدق من الأصول الفارسية ، ومن الروايات التي تعتمد على المشافهة بالطبع. وقد كان من عادة اليونان إلحاق عدد من المخبرين والمسجلين الرسميين بالحملات لتسجيل أخبارها ، كما حوت الموارد السريانية بصورة خاصة والموارد اليونانية المؤلفة بعد الميلاد أموراً كثيرة فيما يخص انتشار النصرانية بين العرب ، وفيما يخص المجامع الكنائسية التي حضرها أساقفة من العرب ، وكذلك الآراء والمذاهب النصرانية التي ظهرت بين نصارى العرب .

نعم لقد وقف المؤرخون على تواريخ عامة وخاصة مدونة بالرومية والسريانية كانت عند جماعة من المشتغلين بالتأريخ من أهل الكتاب . وقد فسّروها ، أو فسروا بعضها لهم ، ولا سيما ما يتعلق منها بموضوعات لها صلة بالقرآن الكريم، مثل كيفية الخلق والزمان والمكان وقصص الرسل والأنبياء والملوك ، نجد طابعها ومادتها وأسلوبها في هذا المدوّن عن قبل الإسلام ، والذي صار مقدمة لتاريخ الإسلام ، درج المشتغلون في التأريخ العام على وضعها قبل تاريخ الرسالة . وقد استفاد من بعضها بعض المؤرخين ، مثل المسعودي[1] وحمزة الأصفهاني وآخرين ،

مروج الذهب (١/١٨٧/٢٠٣) ، التنبيه (ص ١٣٢) ، (وهذه التواريخ اخذتها عن رجل رومي) ، وقال وكيع : نقلت هذه التواريخ من كتاب ملك من ملـوك الروم ، تولى نقله الى العربية بعض التراجمة) ، حمزة : كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (ص ٤٨ ، ٥٢) .

في تدوين تاريخ ملوك الروم ، وقـد صارت طريقتهم كما قلت سابقاً أنموذجاً للمؤرخين ساروا عليه في عرض التأريخ وفي تدوينه ، غير أن هذا النقل لم يكن ويا للأسف قد تجاوز هذا الحد ، فكان ضيق المجال محدود المساحة ، وقد كان من الواجب عليهم الاستعانة بتلك الموارد في علاقات العرب بالروم وفي موضوع النصرانية في بلاد العرب على الأقل،وهي موارد فيها مادة مفيدة في هذا الباب .

وأود أن أشير الى الخدمة التي أداها علماء الأخبار برجوعهم الى الشيب والى حفظة أخبار القبائل من مختلف القبائل لجمع أخبار القبائل وأيامها وحوادثها قبل الإسلام . وقد وضعت في ذلك جملة مؤلفات ضاع أكثرها ويا للأسف ، ولم يبق منها الا الاسم،ولكننا نجد مع ذلك مادة غنية واسعة منها في كتب الأدب، أستطيع أن أقول انها أوسع وأنفع بكثير من هذه المواد المدونة المجموعة في كتب التأريخ . وهذا شيء غريب ، اذ المأمول أن تكون كتب التأريـخ أوسع مادة منها في هذا الباب ، وأن تأخذ لب ما ورد فيها مما يخص التأريخ لتضيفه الى ما تجمّع عندها من مادة . والظاهر ان المؤرخين ، ولا سيما المتزمتين منهم المتقيدين بالتأريخ على أنه حوادث – مضبوطة مقرونة بوقت وبمكـان وبعيدة عن أسلوب الأيام والقصص ، رأوا أن ذلك المروي عن أخبار القبائـل والأنساب وحوادث الشعراء هو ذو طابع أدبي أو طابع خاص لا علاقة له بالحكومات والملوك ، فلم يأخذوا به ، وتركوه ، لأنه خارج حدود موضوع التأريخ كما فهموه . وهو فهم خاطىء لمفهوم التأريخ ولمفهوم الموارد التي يجب أن يستعـان بها لتدوينه . فأضاعوا بذلك مادة غزيرة لم يدركوا أهميتها وفائدتهـا اذ ذاك . واهمالهم لتلك الموارد هو من جملة مواطن الضعف التي نجدها عند أولئك المؤرخين . أما نحن، فقد وجدنا فيـه ثروة تزيد كثيراً على الثروة الواردة في مؤلفات المؤرخـين . واهمال المؤرخين لتلك الموارد هو من أسباب الضعف التي نجدها في فهمهم للمنابع التي يجب أن يستعان بها في تدوين التأريخ .

واذا كان القدامى قد أخطأوا في فهم معنى التأريخ ، ووقعوا من ثم في خطأ بالنسبة الى الموارد التي يجب أن يرجع اليهـا في تدوين تأريخ الجاهلية ، فعلينا يقع في الزمن الحاضر وعلى القادمين من بعدنا بصورة خاصة واجب مراجعـة الموارد الأخرى من كتب في التفسير وفي الحديث وفي الفقه وفي الأدب وغير ذلك، لاستخراج ما فيها من مادة عن الجاهلية ، لأنها كما قلت أغزر مادة وأقرب الى

المنطق في بعض الأحيان في فهم الحوادث من كتب المؤرخين .

والغريب أن المستشرقين الذين عُرفوا بجدهم وبحرصهم على الاحاطة بكل ما يرد عن حادث ، أهملوا مع ذلك شأن الموارد المذكورة ، ولم يأخذوا منها الا في القليل . ولو راجعوها ، لكان ما جاؤوا به عن الجاهلية أضعاف أضعاف ما جاؤوا به وكتبوه ، ولكانت بحوثهم أدق وأعمق مما هي عليه الآن .

وفي طليعة من اشتغل برواية أخبار ما قبل الإسلام : عبيد بن شرية،ووهب ابن منبه ، ومحمد بن السائب الكلبي ، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وآخرون . وبعض هؤلاء مثل عبيد بن شرية وكعب الأحبار ووهب ابن منبه ، قصاص أساطير ، ورواة خرافات ، وسمر مستمد من أساطير يهود، وأولئك وأمثالهم هم منبع الإسرائيليات في الإسلام .

فأما عبيد بن شرية ، فقد كان من أهل صنعاء (في رواية) أو من سكان الرقة (في رواية أخرى)[1] . وكان معروفاً عند الناس بالقصص والأخبار ، فطلبه معاوية ، فصار يحدثه بأخبار الماضين[2] . ومن الكتب المنسوبة اليه : كتاب الأمثال[3] ، وكتاب الملوك وأخبار الماضين ، وقد طبع في ذيل (كتاب التيجان في ملوك حمير) المطبوع بحيدراباد دكن بالهند بعنوان (أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها)[4] وقد وضع الكتاب على الطريقة

---

١ الفهرست (ص ١٣٨) ، السجستاني : كتاب المعمرين (ص ٤٠) ، ياقوت : ارشاد (١٠/٥) و
Brockelmann, Bd., I, S., 64, Suppl., Bd., I, S., 100
Von Kremer Sudarabische Sage, 16-32, Muh. Stud., Bd., I, S., 183.

٢ (فامر به معاوية ، فانزله في قربه ، واخدمه ، وامر من يجري وظيفته ، ووسع عليه ، والطفه فاذا كان في وقت السمر فهو سميره في خاصته من اهل بيته . وكان يقص عليه ليله ، ويذهب عنه همومه ، وانساه كل سمير كان قبله ، ولم يخطر على قلبه شيء قط الا وجد عنده شيئا وفرحا ومرحا ، فاذا كان يحدثه وقائع العرب واشعارها واخبارها امر اهل ديوانه ان يوقعوه ويدونوه في الكتب ...)، اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها (ص ٣١٢ فما بعدها) .

٣ (كتاب الامثال نحو خمسين ورقة رايته) ، الفهرست (١٣٨) ، ارشاد (١٩٠/١٢) .

٤ طبع سنة ١٣٤٧ هـ ، ويرى المستشرق (كرنكو) ، ان الجامع له ابن هشام ، راجع ملحوظة ١ ص ٣١٢ .

التي تروى بها الأسمار وأيام العرب ، وفيه أشعار كثيرة وضعت على لسان عاد وثمود ولقمان وطَسْم وجَدِيس والتبابعة[1] ، وفيه قصص اسرائيلي وشعبي يمثل في جملته السذاجة وضعف ملكة النقد ، وبساطة القص والقصة ، ومبلغ علم الناس في ذلك الوقت بأخبار الأوائل[2] .

وقد حصل (كتاب الملوك وأخبار الماضين) على شهرة بعيدة ، وطلب في كل مكان ، وكثرت نسخه ، ومع هذه الكثرة اختلفت نسخـه ، حتى صعب العثور على نسختين متشابهتين منه[3] . وقد نقل الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة) بعض الأخبار المنسوبة الى عبيد[4] . ولما نقله ، أهمية كبيرة في تثبيت مؤلفات عبيد ، اذ يمكن مقابلته بما نشر ، ومطابقته بما طبع ، فيمكن عندئذ معرفة ما اذا كان هناك اتفاق أو اختلاف . ويمكن عندئذ تعيين هوية المطبوع .

والطابع الظاهر على أخبار عبيد ، هو طابع السمر والقصص والأساطير المتأثرة بالاسرائيليات . وأما الشعر الكثير الذي روي على أنه من نظم التبابعة وغيرهم ، وفيه قصائد طويلة ، فلا ندري أمن نظمه أم من نظم أشخاص آخرين قالوها على لسان من زعموا أنهم نظموها ، أو أنها اضيفت فيما بعد الى الكتاب ونسبت روايتها الى عبيد ؟ وعلى كل فإنها تستحق توجيه عناية الباحثين الى البحث عن زمن ظهورها وأثرها في عقلية أهل ذلك الزمن .

وأما (وهب بن منبه) ، فقد كان من أهل (ذمار) ،وكان قاصاً أخبارياً ، من الأبناء ، ويقال انه كان من أصل يهودي ، واليه ترجع أكثر الاسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية . وقد زعم أنه كان ينقـل من التوراة ومن كتب بني اسرائيل ، وانه كان يقول : (قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعـين كتاباً) ، وانه كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية ، ويحسن قراءة الكتابات القديمة الصعبة التي لا يقدر أحد على قراءتهـا[5] . قال المسعودي : (وُجد في

---

١ Muh. Stud., Bd., 2, S., 204.

٢ دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية (ص ٤٨٣) .

٣ مروج الذهب (١٥٣/٢) (طبعة محمد محي الدين عبد الحميد)
Muh. Stud., Bd., I, S., 182. f., Brockelmann, Bd., I, S., 64. Wustenfeld Geschichte. S., 5, Lidsbarski, De Propheticis qu. d. Legendis Arabicis, Leipzig, 1893, 1-2.

٤ الاكليل (طبعة الكرملي) ، (١٨٤،٧١/٨ ، ٢١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ومواضع اخـرى) .

٥ ارشاد الاريب (٢٣٢/٧)

حائط المسجد[1] لوح من حجارة ، فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته ، فوجّه به الى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب في أيام سليمان بن داوود ، عليهما السلام ، فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن آدم ، لو عاينت ما بقي من يسير أجلك ، لزهدت فيما بقي من طول أملك ، وقصرت عن رغبتك وحيلك ، وانما تلقي قدمك ندمك اذا زلّت بك قدمـــك ، وأسلمك أهلك ، وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت الى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد ، فاغتنم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الفوت ، وقبـــل أن يؤخذ منك بالكظم ، ويحال بينك وبين العمل . وكتب في زمن سليمان بن داوود[2]) .

وفي كتاب (التيجان في ملوك حمير) رواية ابن هشام نماذج لقراءته ، وهي على هذا النسق الذي يدل على سخريته بعقول سامعيه ان كان ما نسب اليه حقاً، وأنه قرأه عليهم صدقاً ، ومن يدري ؟ فلعله كان لا يعرف حروف اليونانية ، ولا يميز بينها وبين الأبجديات الأخرى . ثم هل يعجز أهل دمشق عن قراءة نص يوناني أو سرياني أو عبراني وقد كان فيها في أيام وهب بن منبه علماء فطاحل حذقة بهذه اللغات هم نفر من أهل الكتاب ؟

والذي يهمنا من أمر (وهب بن منبه) أخباره عن الجاهلية . ولوهب أخبار عن اليمن والأقوام العربية البائـــدة ، ونجد روايته عن نصارى نجران وتعـذيب (ذي نواس) إياهم ، وقصة الراهب (فيميون) مطابقة للروايات النصرانيـــة ولما جاء في كتاب (شمعون الأرشامي) عن هذا الحادث[3] . والظاهر أنـه كان قد أخذها من المؤلفات النصرانية أو من أشخاص كانوا قد سمعوا بمـــا ورد عن حادث (نجران) من أخبار . وقد ذكر أن وهباً كان يستعـــين بالكتب ، وأن أخاه (همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني) أبا عقبـة الصنعاني الأبناوي ، كان يشتري الكتب لأخيـــه[4] . ولعله استقى أخباره عن بعض الأمور المتعلقـــة

---

١ يعني مسجد دمشق ، وذلك في ايام الخليفة الوليـد .
٢ مروج الذهب (١٥١/٢ وما بعدها) . (طبعة عبد الرحمن محمد) .
٣ راجع الطبري (١٠٣/٢) ، ايضا ما كتبته فيه في الجزء الاول من مجلة المجمـع العلمي العراقي في (موارد تاريخ الطبري) سنة ١٩٥٠ م .
٤ تهذيب التهذيب (٦٧/١١) ، ابن سعد (٣٩٥/٥) .

بالنصرانية مثل مولد وحياة المسيح من تلك الموارد ، أو من اتصاله بالنصارى[1]. أما ما ذكره عن التبابعة والعرب البائدة ، فإنه قصص . وأما علمه بأخبار العرب الآخرين ، فيكـاد يكون صفراً ، فلا نجد في رواياته شيئاً يعد تأريخاً لعرب الحيرة أو الغساسنة أو عرب نجد . فهو في هذا الباب مثل (عبيد بن شرية) من طبقة القصاص . لم يصل الى مستوى أهل الأخبار ، ولعله وجد نفسه ضعيفاً في التأريخ وفي أخبار العرب ، فمال إلى شيء آخر لا يدانيه فيه أحـد ، وهو مرغوب فيه مطلوب ، وهو القصص الإسرائيلي ، ومـا يتعلق بأقوام ماضين ، ذُكروا في القرآن الكريم ، وكانت بالمسلمين الأولين حاجة إلى من يتحدث لهم عن ذلك القصص وأولئك الأقوام .

ومن الكتب المنسوبـة الى وهب (كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم)[2] ، وقـد تناول أخبار التبابعة . والظـاهر أن (كتاب التيجان في ملوك حمير) الذي طبع في الهند[3] ، رواية ابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ) قـد استند اليه ، بعـد أن أضاف اليه أخباراً أخذها من مؤلفات محمد بن السائب الكلبي[4] وأبي مخنف لوط بن يحيى[5] وزياد بن عبدالله بن الطفيل العامري أبي محمد الكوفي المعروف بالبكائي رواية ابن اسحاق[6]. وهو خليط من الإسرائيليات والقصص

---

١ تفسير الطبـري (١٤٧/٣ ، ١٧٧) ، (مولـد المسيح وحياتـه) ، (٤٣/١٦) (الحمل) ، المذاهب الاسلامية في تفسير القران تأليف (كولدتزهير) ، ترجمة علي حسن عبد القادر ، ص ٨٨ ، تأريخ الطبري (١٠٢/١) ، تفسير الطبري (٤٣/١٦) ، مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٠/١) ، Ency., Vol., 4, P., 1084

٢ ارشاد (٢٣٢/٧) ، (كتاب الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وغير ذلـك) ، وعثر على مجموعة من اوراق مخطوطة في خزانة كتب (هايدلبرك) بالمانية ، رأى (بيكر) انها جزء من كتاب في المغازي ، ينسب الى وهب بن منبه ، C.H. Becker, Papyri Schott-Reinhardt, I., 8, Fuck, Muhammad ibn Ishaq, S., 4, Ency., Vol. 4, P., 1084. f.

٣ في حيدراباد دكن سنة ١٣٤٧ هـ ، وبذيله (كتاب اخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها) ، وقد مر ذلك .

٤ التيجان ص ١٣٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ومواضع اخرى .

٥ التيجان ص ١٢٥ ، ١٨٠ ومواضع اخرى .

٦ التيجان ص ٦٦، ٧٥ ، ومواضع اخرى . راجع عن البكائـي : لسان الميـزان (٨٣٦/٦) ، سيرة ابن هشام (تحقيق محمد محـي الدين عبـد الحميـد) ، (١٦/١) ، وكتاب الكنى والالقاب (٨٢/٢) لعباس بن محمـد رضا القمـي ، طبع مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٨ هـ .

اليماني ومن مواد أخرى قد تكون من وضعه ، أو من صنعة آخرين ، صنعوها قبله ، فأخذها من ألسنة الناس ، مثل تلك القصائد والأشعار الكثيرة المنسوبة الى التبابعة وغيرهم . وقد أورد في الكتاب أسماء أخذت من التوراة ذكرها بنصها كما تلفظ بالعبرانية ، مما يبعث على الظن أنها أخذت من مورد يهودي[1] . وأما سائر الأخبار الواردة في الكتاب ، فالغالب عليها السذاجة ، اذ لا نجد فيها عمقاً ولا مادة تأريخية غزيرة كالمادة التي نجدها في مؤلفات ابن الكلبي ، وفي مؤلفات الهمداني الذي عاش بعده .

وأودّ أن ألفت أنظار العلماء الى أهمية روايات (وهب بن منبه) وأخباره بالنسبة الى من يريد الوقوف على الدراسات التوراتية والتلمودية في ذلك العهد ، ففيها فقرات كثيرة زعم (وهب) أو آخرون قالوا ذلك على لسانه ، أنها قراءات أي ترجمات أخذت من التوراة ومن كتب الله الأخرى . واذا ثبت بعد مقابلتها بنصوص التوراة والتلمود والمشنا وغيرها من كتب اليهود ، انها من تلك الكتب حقاً ، وانها ترجمات صحيحة ، فنكون قد حصلنا بذلك على نماذج قديمة لمواضع من تلك الكتب قد تفيد في ارشادنا الى ترجمات أقدم منها ، كما تعيننا في الوقوف على النواحي الثقافية للعرب في ذلك العهد .

ولأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦هـ، فضل كبير على دراسات تأريخ العرب قبل الإسلام ، فأغلب معارفنا عن هذا العهد تعود اليه[2] . وقد سلك مسلكاً جعله في طليعة الباحثين في الدراسات الآثارية

---

١ راجع ما كتبه (كرنكو) عن الكتابين : كتاب التيجان وكتاب اخبار عبيد، في مجلة: (The Islamic Culture) المجلد الثاني بعنوان : (The Two Oldest Books on Arabic Folklore) ، دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ص ٤٨٤ مادة : (تأريخ) .

٢ والده ابو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ ، من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار والانساب ، الفهرست ١٣٩ ، الاغاني (١٦/٩) ، (٤٨/١١) (١٦١/١٨) ، ابن سعد : الطبقات (٢٥٠/٦) ، ابن خلكان : وفيات (١٣٤/٣ وما بعدها) ، ارشاد (٢٥٠/٧) ، تذكرة الحفاظ (٣١٣/١) ، تأريخ بغداد (٤٥/١٤ وما بعدها) ، انباري : نزهة الالباء في طبقات الادباء (١١٦) ، تهذيب التهذيب (١٧٨/٩) ، كتاب الاصنام ، تحقيق احمد زكي باشا ، Ency., vol., 2, P., 689, Muh. Stud., I, S., 186, Noldeke Gesch. der Araber und Perser, S., XXVII, ZDMG., XLIII, Brockelmann, Bd., I, S., 211.

عند المسلمين ، برجوعه الى الأصول ، واعتماده على المراجع التأريخية ، متبعاً سبيلاً تختلف عن سبيل أهل اللغة في البحث ، وهو – بطريقته هذه – قريب من طريقة المؤرخين في تدوين التأريخ[1] .

ولكنه لم يخل مع ذلك من مواطن الضعف التي تكون عادة في الأخباريين ، مثل سرعة التصديق ، ورواية الخبر على علاته دون نقد أو تمحيص . وقد اتهم بالوضع والكذب[2] . ولذلك تجنب جماعة من العلماء الرواية عنه ، وقالوا عن بعض أسانيده أنها سلسلة الكذب[3] . وذهب (بروكلمن) الى أن ما اتهم عليه ابن الكلبي لم يكن كله صحيحاً ، وأن البحوث العلمية التي قام بها المستشرقون دلتهم على أن الحق كان في جانبه في كثير من المواضع التي اتهم عليها[4] .

وأنا لا أريد أن ابرئه من الوضع أو من تهمة أخذه كل ما يقال له ، ولا سيما إذا كان القائل من أهل الكتاب ، دون مناقشة ولا ابداء رأي . ففي المنسوب اليه شيء كثير من الإسرائيليات والقصص الممسوخ الذي يدل على جهل قائله أو استخفافه بعقل السامع وعلمه ، مثل اختراع سلاسل من النسب زعم أنها واردة في التوراة، أو عند أهل النسب ، مع ان الوضع فيها بيّن واضح، وهي غير واردة في التوراة ولا في التلمود . ولعلّ حرصه على الظهور بمظهر العالم المحيط بكل شيء من أخبار الماضين ، هو الذي حمله على الوضع ، وقد وضع غيره من أقرانه شعراً ونثراً ، وصنع قصصاً ، ليتفوق بذلك على أقرانه وخصومه، وليظهر بمظهر العالم الذي لا يفوته شيء من العلم .

---

١ Brockelmann, Bd., I, S., 138.

٢ لسان الميزان (١٩٦/٦ فما بعدها) ، تذكرة الحفاظ (٣١٣/١) ، الاغاني (١٩/٩) ، (وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبي ، والتوليد فيه بين ، وشعره شعر ركيك غث لا يشبه اشعار القوم ، وانما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي) ، الاغاني (١٦١/١٨) .

٣ مثل سنده عن أبي صالح عن ابن عباس ، ووجد من دافع عنه ، ارشاد (١٥٨/٢) .

٤ Brockelmann, I, S., 139, Noldeke, Ubers. d. Tabari, XXVII, Ency., 2, P., 689.

وقد عالج بعض الباحثين زعم « ابن الكلبي » أنه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر وميالغ أعمار من عمل منهم ، وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، فرأى أن كتابات أهل الحيرة كانت بالكتابة النبطية وبالأرقام النبطية ، كما أثبت ذلك نص « النمارة » أيضاً ، وأن « ابن الكلبي » لم يكن يحسن قراءة النبطية ولم يفهمها ، وعندما حاول قراءتها لم يتمكن من ذلك فوقع في أوهام ، وجاء بأمثلة على ذلك تتعلق بما ذكره « ابن الكلبي » من مدد حكم أولئك الملوك ، فوجد أنه لم يميز مثلاً بين الرقم « ٢٠ » والرقم « ١٠٠ » وذلك لتشابه شكل الرقم الأول مع شكل الرقم الثاني في النبطية ، فقرأ العشرين مئة ، فزاد سني حكم الملوك . ومن هنا أخطأ في ضبط مدد حكم ملوك الحيرة ، ولا سيما بالنسبة للقدامى منهم ، لأن الكتابات النبطية المتقدمة لم تكن مثل الكتابات النبطية المتأخرة في قربها من الأبجدية العربية القديمة[1] .

هذا ولم يُبحث موضوع أخذ « ابن الكلبي » من بيع الحيرة حتى الآن بحثاً علمياً مركزاً . وهو موضوع أرى أنه جدير بالدراسة والعناية . وحري بأن يقارن ما ذكره « ابن الكلبي » بما جاء في الموارد النصرانية عن « آل نصر » ، لنرى مقدار الصحة من الخطأ في فهم « ابن الكلبي » لتلك الموارد التي ذكر أنه قرأها وانه استعان بها في جمع تأريخ عرب العراق قبل الإسلام .

ولم يبق من القائمة الطويلة التي ضمنها (ابن النديم) مؤلفات ابن الكلبي غير قليل[2] . وهي في المآثر والبيوتات والمنافرات والمؤودات وأخبار الأوائل ، وفيما قارب الإسلام من أمر الجاهلية ، وفي أخبار الشعر وأيام العرب ، والأخبار والأسماء والأنساب[3] .

وهناك بعض الشبه بين بحوث أبي عبيدة (المتوفى سنة عشر

---

١ Die Araber, IV, S., 3. f.

٢ الفهرست ١٤٠ ، ارشاد (٢٥١/٧) ، Brockelmann, I, S., 138, Suppl., I, S., 211. f.

٣ الفهرست ١٤٠ ، وفيات الاعيان (٢٥٨/٢) ، (قال ياقوت في معجم البلدان ٢ : ١٥٨ : لله دره ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب ، الا وكان قوله اقوى حجة ، وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارض مكلوم) ، تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان (٣١/٣) ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

ومائتين)[1] الذي كان له علم بالجاهلية، ومصنفات وبحوث في القبائل والأنساب[2] ، وبين ابن الكلبي في اتجاهه ومناحيه . ولكنـــه دونه في أخباره عن الجاهلية ، ومؤلفاته في أمور الجاهلية لا تعدّ شيئاً بالنسبة الى ما ينسب الى ابن الكلبي من مؤلفات ، كما ان أخباره ورواياته عنها قليلة بالنسبـــة الى أخبار ابن الكلبي ورواياته .

وهناك عـــدد آخر من العلماء ، كالأصمعي ، و (الشرقي بن القطامي)[3] ، وسائر من اشتغل بالأنساب واللغة والأدب ، كان لهم فضل كبير في جمع أخبار الجاهليـــة المتصلة بالإسلام ، وقد تولدت من شروحهم وأماليهم وكتبهم ثروة تاريخية قيمة لم ترد في كتب التاريخ . ولكن عرض أسمائهم هنا وذكر بحوثهم ومؤلفاتهم يضطرنا الى كتابة فصول طويلة عن جهودهم وأنعـــابهم وعن ضعف رواياتهم أو قوتها ، وذلك يخرجنا عن حـــدود كتابنا ، ولهذا اكتفي هنا بمـــا كتبت وذكرت ، عـــلى أن أتعرض لآراء الباقين في المواضع التي ترد فيها ، فأشير الى صاحبها والى روايته عن الحادث . ولكن لا بـــد لي من التحدث عن عالمين من علماء اليمن ، ألّفا في تأريخ اليمن القديم ، وجاءا بمعلومات ساعدتنـــا كثيراً في توسيع معارفنا بالأماكن الأثرية هناك، إذ أشارا الى أسماء أبنية ومواضع ، وشخصا أمكنة ، ووصفا عاديات رأياها ، فأفادنا بذلك فائدة كبيرة .

أما أحدهمـــا ، فهو الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمـــد بن يعقوب بن يوسف المتوفى سنة ٣٣٤هـ[4] . أو بعد ذلك كما ذهب الى ذلك الحوالي[5] . وأمـــا

---

١ (وقيل احدى عشرة ، وقال ابو سعيد : سنة ثمان ، وقيـــل سنة تســـع .) ، (أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي) ، (وقيل : كان شعوبيا يطعن في الانساب) الفهرست (ص ٧٩) ، ارشاد (١٦٥/٧) .

٢ Ency., Vol., I, S., 195, Flugel,
Die Grammatischen Schulen, S., 68, Brockelmann, 1, S., 103.

٣ وقد اتهم بالوضع والتلفيق ، الفهرست (ص ١٣٢) .
راجع عن الهمداني : تأريخ اداب اللغة العربية (٢٠٤/٢) ، ابن القفطي : تأريخ الحكماء (اخبار الحكماء) ، (طبعة Lippert) ، ١١٣ ، ارشاد (٩/٣) ، السيوطي :بغية الوعاة (٢١٧) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين سنة ١٩٥٠ ص ٦٢ ، مقالة للسيد حمـــد الجاسر بعنوان : (الجزء العاشر من الاكليل) .
Brockelmann, I, S., 229, Suppl., I, S., 409, Ency., 2
P., 246, Muller, Sudarab. Stud., 170.
واشتهر بـ (ابن الحائك) وبـ (ابن ابي الدمينة) ، الاكليل (٢٩٧/٨) طبعـــة الكرملـــي .

٥ محمد بن علي الاكوع الحوالي ، محقق الجزء الاول من كتاب الاكليل للهمـــداني الاكليل (٦٠/١) .

الآخر ، فهو (نشوان بن سعيد الحميري) ، المتوفى سنة ٥٧٣ هـ .

لقد بذل الهمداني مجهوداً يقدر في تأليف كتبه وفي اختيار موضوعاته،وسلك في بحوثه سبيلاً حسناً بذهابه بنفسه الى الأماكن الآثارية وبوصفه لها في كتبه ، فأعطانا بذلك صوراً لكثير من العاديات التي ذهب أثرها واختفى رسمها ، بل طمست حتى أسماء بعضها . وبمحاولته قراءة المسند وترجمته الى عربيتنا،للوقوف على معناها ومضمونها ، يكون قد استحق التقدير والثناء ، لأن عمله هذا يدل على ادراكه لأهمية الكتابات في استنباط التواريخ . على أننا يجب أن نذكر أيضاً أن الهمداني لم يكن أول من عمد الى هذه الطريقة ، طريقة قراءة الكتابات لاستنباط التواريخ منها ، فقد سبقه غيره في هذه القراءات ، وكانوا مثله يبغون الوقوف على ما جاء فيها ، ومعرفة تواريخها . وقد أشار (الهمداني) نفسه اليهم وذكرهم بأسمائهم ، مثل (أحمد بن الأغر الشهابي من كندة) و (محمد ابن أحمد الأوساني) و (مسلمة بن يوسف بن مسلمة الخيواني) وغيرهم[1] . فهم مثله يستحقون الثناء والتقدير أيضاً ، وهم بطريقتهم هذه في جمع مادة التأريخ يكونون على شاكلة الآثاريين المحدثين في ادراك أهمية دراسات الآثار والكتابات بالنسبة الى اكتشاف تواريخ العاديات ، وهم بطريقتهم هذه يكونون قد فاقوا غيرهم من المؤرخين العرب في الأمكنة الأخرى بهذه الطريقة ، فقلما نجد مؤرخين في الأماكن الأخرى لجأوا الى دراسة الآثار ودراسة الكتابات ووصف الأمكنة الآثارية لاستنباط التواريخ منها كما يفعل الآثاريون في الزمن الحاضر .

وقد أثنى الهمداني بصورة خاصة على أستاذ له أخذ منه ، فوسمه بأنه (شيخ حمير ، وناسبها ، وعلامتها ، وحامل سفرها ، ووارث ما ادخرته ملوك حمير خزائنها من مكنون علمها ، وقارىء مساندها ، والمحيط بلغاتها)[2] وسمّاه (أبا نصر محمد بن عبدالله اليهري) . وقال انه كان مرجعه فيما كان يشكل عليه من أخبار أهل اليمن ، والمنبع الذي غرف منه علمه بأحوال الماضين ، الى أن قال: (وكان بحاثة ، قد لقي رجلاً وقرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية ، فربما نقل الاسم على لفظ القدمان من حمير ، وكانت أسماء فيها ثقل،فخففتها العرب ،

---

١ الاكليل (١٠/١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١١١) .
٢ الاكليل (١/٩) .

وأبدلت فيها الحروف الذلقية ، وسمع بها النـاس مخففة مبدلة . فإذا سمعوا منها الاسم الموفّر ، خال الجاهل انه غير ذلك الاسم ، وهو هو . فما أخذته عنه ، ما أثبته هنا في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدة الأذواء وبعض ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجل خولان القديم بصعدة ، ومن علماء صنعاء وصعدة ونجـران والجوف وخيوان وما أخبرني به الآباء والأسلاف)[1] .

وللملاحظة (الهَمْداني) على الأسماء اليمانية القديمة ، وثقلها عـلى ألسنة الناس في أيامه وقبل أيامه ، شأن كبير ، إذْ ترينا أن لسان أهل اليمن كان قد تغير وتبدل ، وأن ذلك التغير قد تناول حتى الأسماء ، فصارت الأسماء القـديمة ثقيلة على أسماعهم ، غليظة الوقع عليهم ، فخففوها أو بدّلوها ، والواقع أننا نشعر من المسانـد المتأخرة التي وصلت الينا وقد دُونت في عهود لا تبعد كثيراً عن الإسلام ، ومن الموارد الإسلامية أن الأسماء اليمانية المدوّنة في كتابات المسند التي يرجع عهدها الى ما قبل الميلاد ، هي أسماء أخذت تقل في كتابات المسند المدونة بعد الميلاد إلى قبيل الإسلام ، وأن أسماء أخرى جديدة أخف على السمع حلت محل الأسماء المركبة القديمة . وفي هذا التطور ، دلالة على حدوث تغير في عقلية أهل اليمن بعد الميلاد ، وعلى حصول تقارب بين لغتهم ولغة أهل الحجاز وبقية العرب الذين يسميهم المستشرقون (العرب الشماليين) .

وقـد حملني قول الهمداني إنه أخذ أخبار رجال حمير وكهلان من (سجل خولان القديم بصعدة)[2] ، على مراجعة متن الجزء الأول من الاكليل للوقوف على الأماكن التي اعتمد فيها على هـذا السجل ، لأتمكن بها من تكوين رأي عنه ، ومن الحصول على فكرة عما جاء فيه . وقد وجدته يقول في موضع منه: (وقرأت في السجل الأول : أولد قحطان بن هود أربعة وعشرين رجـلاً ، وهم : يعرب ، والشلف الكبرى ، ويشجب ، وأزال وهو الذي بنى صنعاء ، ويكلي الكبرى ، بكسر اليـاء ، وخولان : خولان رداع التي في القفـاعة ، والحارث وغوثـا ، والمرتاد ، وجُرهما ، وجديسا ، والمتمنع ، والملتمس ، والمتغشمر ، وعبادا ، وذا هوزن ، ويمنا ، وبه سميت اليمن ، والقطـاميّ ،

---

1 الاكليل (١٣/١ فما بعدها) .
2 المصدر نفسه

ونباتة ، وحضرموت ، فدخلت فيها حضرموت الصغرى ، وسباكاً ، وظـالماً ، وخياراً ، والمشفتر[1]) . ووجدته يقول في موضع آخر : (وأصحاب السجل يقولون مثل قول بعض الناس فيما بين عدنان واسماعيل)[2] ، ووجدته يقـول : (وفي سجل خولان وحمير بصعدة : أولد مهرة الآمري ، والدين ، ونادغم ،وبيدع...)[3] ويقول في (باب نسب خولان بن عمرو) ، (فهذه الآن بطونها على ما روى رجال خولان وحمير بصعدة . وقد سكنت بها عشرين سنة ، فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ، ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجل محمد ابن أبان الحنفري المتوارث من الجاهلية ، فمن أخبارهم ما دخل في هذا الكتاب ، ومنها ما دخل في كتاب الأيام)[4] . وقال في موضع : (وقال بعض وضعـة السجل ونساب الهميسع)[5] . ويتبين من هذه الملاحظات أن السجل المشار اليه هو مجموعة أجزاء ، وضعها جملة أشخاص ، كل جزء سجل قائم بذاته في الأنساب ، وهو متفاوت الأزمنة ، ويشمل القبائل والناس . وقد جمعت جمعاً ، على طريقة رواة النسب في رواية الأنساب . ولا استبعد أن يكون السجل قد وضع في صدر الإسلام ، حينما شرع في أيام (عمر) بتسجيل النسب في ديوان . فدوّنت عندئذ أنساب القبائل ، ورجع في ذلك إلى ما كان متعارفاً عليه من النسب في الجاهلية الملاصقة للإسلام وفي صـدر الإسلام ، ثمّ أكمل على مرور الأيام . ولذلك تعددت الأيدي في كتابته ، وصار على شكل فصول في أنساب القبـائل ، كل سجل في نسب قبيلة وما يتفرع منها . والطابع البارز عليه هو الطابع اليماني المحلّي المتأثر بالروايات التوراتية عن (اليقطانيين) ، الذين صُبروا قحطانيين بتأثير روايات أهل اليمن من أهل الكتاب وعلى رأسهم كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وربما من أناس آخرين سبقوهم ، ومن الروايات اليمانية المحلية التي تعارف عليها أهل اليمن في أنساب قبائلهم آنئذ . ولهذا نجد الطابع اليماني المحلي بارزاً في مؤلفـات أهل اليمن التي نقل منها الهمداني وأمثاله ، ولا نجدها على هذا النحو في مؤلفات

---

١ الاكليل (١٣١/١ وما بعدها)
٢ الاكليل (١٣٦/١) .
٣ الاكليـل (١٩٣/١) .
٤ الاكليل (١٩٩/١) .
٥ الاكليل (٣٥٥/١) ، « قال أهل السجل » ، الاكليل (١٦٤/٢) .

النسابين الشماليين الذين ينسبون أنفسهم الى اليمن مثل (ابن الكلبي) وأضرابه ، لأنهم كانوا بعيـــدين عن اليمن ، فعلمهم بالروايات اليمانية ، ولا سيما روايات أهل حمير وصعدة وخولان وصنعاء وغيرهم من النسابين المحليين، لذلك ، قليل .

وقد أورد الهمداني في الجزء الثاني من كتابه « الإكليل » جملة تدل على أن « السجل القديم » الذي يشير اليه في كتابـــه ، كان سجـــل نسّابة عرف بـ « ابن أبان » ، اذ يقول : « قال الهمداني : قال علماء الصعديين وأصحاب السجل القديم : سجل ابن أبان »[1] . ولعـل « ابن أبان » كان قد وضعـــه وجمعه في أبواب ، ثم جاء جمع من النسّابين فأضافوا عليه فصولاً جديدة في الأنساب ، وعرف الكتاب كله وبجميـــع فصوله بـ « السجل » . وقد كان أصحاب السجل من أهل صعدة ، لما ذكره الهمداني من قوله : « عن الصعديين من أصحاب السجل »[2] .

وكان « الهمداني » ، قد نص في الجزء الأول من « الإكليـل » على أن ذلك السجل ، هو سجل « محمد بن أبان الحنفري » ، وذلك في أثناء حديثه على بطون « صعدة » ، إذ قال : «فهذه الآن بطونها على ما روى رجال خولان وحمير بصعدة . وقد سكنت بها عشرين سنة، فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها، كما أطللت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجل محمد بن أبان الحنفري المتوارث من الجاهلية ، فمن أخبارهم ما دخل في هذا الكتاب ، ومنها ما دخل في كتاب الأيام »[3] . ويفهم من هذا النص ، أن السجل المذكور هو سجـــل « محمد بن أبان » وكان يحفظه ، وقد ورثه من الجاهلية .

ويظهر من اشارات « الهمداني » اليه ، انـه قصد بهذا السجل « السجـــل القديم » ، وأما السجلات الأخرى ، فقد كانت من وضع علماء آخرين من علماء النسب كانوا بمدينة صعدة ، وقد جمعوا أنساب خولان وحمير وقبائل أخرى ، وأضافوها على شكل مشجرات نسب الى ذلك الديوان ، فصار مجموعة سجلات . ولهذا كان ينبّه « الهمداني » الى الموارد التي كان يستقي منها من غـــير ذلك السجل ، كالذي ذكره من « أنساب بني الهميسع بن حمير » ، اذ قال : « الا

---

١ الاكليل (١٤/٢) .
٢ الاكليل (١٦/٢) .
٣ الاكليل (١٩٩/١) ، « وفي سجل خولان وحمير بصعدة » (١٩٣/١) .

ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجل خولان القديم بصعدة وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان وما أخبرني به الآباء والأسلاف »[1] .

وأما ما يذكره « الهمداني » من أن أصل السجل القديم وأساسه جاهلي ، فأمر لا أريد أن أبتّ فيه الآن . لا أريد أن أنفيه ، ولا أريد أن أثبته أيضاً . بل أقف منه موقف المحايد الحذر ، لأني لا أجد في المنقول منه في كتاب « الاكليل » ما يشير الى جاهلية وأصل جاهلي ، فالمشجرات المذكورة هي من هذا النوع المألوف الذي نراه في كتب الأنساب المؤلفة في الإسلام، وبعضه متأثر بروايات التوراة ، ولهذا فأنا لا أستطيع أن أرجعه الى ما قبل الإسلام ، ولا أستطيع أن أتبحر فيه وفي أصله ما دمت لا أملك « السجل » نفسه ، لا القديم منه ولا الجديد ، أو نصوصاً طويلة أخذت منه ، حتى يسهل عليّ الحكم من قراءتي لما ورد ومن دراسته على أصل ذلك الكتاب وصحة نسبته الى الجاهلية .

وأما « الخنفري » ، صاحب السجل ، فهو : « محمد بن أبان بن ميمون ابن حريز الخنفري »[2] . ولد في ولاية معاوية بن أبي سفيان في سنة خمسين ، وتوفي في سنة خمس وتسعين ومائة ، ودفن في رأس « حدبة صعدة »[3] . هذا ما رواه « الهمداني » عنه . وذكر « الهمداني » انه عاش « ١٢٥ » سنة ، ولو أخذنا بهذا الرقم الذي ذكره « الهمداني » ، فيجب أن تكون سنة وفاته « ١٧٥ » ، لا « ١٩٥ » للهجرة . ولذلك ، فيجب أن يكون في تأريخ المولد أو الوفاة وربما في مدة عمر « الخنفري » خطأ . واني أشك في طول ما ذكره عن عمره .

وكان لغير أهل صعدة كتب في الأنساب أيضاً ، دوّنوا فيها أنسابهم ، كما كان هنالك نسابون حفظوا أنساب قبائلهم أشار « الهمداني » اليهم في مواضع من كتابه[4] . وهم من غير أصحاب السجل . وكان بعض منهم قد قابل بين ما دوّنه عن القبائل وبين ما دوّن في السجل عنها، كما كان أهل السجل يعرضون

---

١ الاكليل (١٣/١ فما بعدها) .
٢ اكليل (١٩٩/١ ، ٢٢٧) ، الاكليل (١١٨/٢) .
٣ الاكليل (١١٩/٢) .
٤ الاكليل (١٠٢/٢ ، ١٩٤) ، « قال الهمداني : فخبرني محمد بن احمد القهبي السمسار وكان خبيرا بالخطيين » ، الاكليل (٦٥/٢) .

ما دوّنوه عن القبائل على نسّابيها لبيان رأيهم فيهـا . قال الهمداني « بطون الصدف ، عن الصعديين من أصحاب السجل ، مقروء على بعض نسّابة الصدف »[1] .

ونجد في الجزء الثامن من الإكليل مواضع ذكر فيهـا الهمداني (أبا نصر) أيضاً . وقد راجعتها وراجعت الأماكن التي أشير فيها اليه في الجزء الأول ، فتبين لي أن عـلم (أبـي نصر) بتأريخ اليمن القديم هو على هذا الوجه : احاطـة بأنساب القبائل اليمانية على النحو الذي كان شائعاً ومتعارفاً في أيامـه ومسجلاً في سجلات الأنساب في تلك الأيام ، ورواية للأساطير التي راجت عـن التبابعة ، وأخذ من موارد توراتية ظهرت في اليمن من وجود اليهود فيها قبل الإسلام .

أما علمه بالمساند ومدى وقوفه عليها ، فأنا أعتقد أن علمه بها لا يختلف عن علم غيره من أهل اليمن : وقوف على الحروف ، وتمكن من قراءة الكلمات ، واحاطة عامة بالمسند . أما فهم النصوص واستنباط معانيها بوجه صحيح دقيق ، فأرى أنه لم يكن ذا قدرة في ذلك ، وهو عندي في هذا البـاب مثل غيره من قراء الخط الحميري . ودليلي على ذلك أن القراءات المنسوبـة اليهم هي قراءات لا يمكن أن تكون قراءات لنصوص جاهلية ، وإن تضمنت بعض أسماء يمانيـة قديمة ، لسبب بسيط ، هو أن أساليبها ومعانيها ونسقها لا تتفق أبداً مع الأساليب والمعاني المألوفة في الكتابات الجاهلية ، فقراءات أبـي نصر وأمثاله قراءات بعيـدة جداً عن النصوص المعهودة ، هي قراءات إسلامية فيها زهد وتصوف وتوحيـد وحضّ على الابتعاد عن الدنيا . أما نصوص المسند التي عثر عليها حتى الآن ، فإنها نصوص وثنية لا تعرف هذه المعاني ، وأسلوبها في الكتابة لا يتفق مع ذلك الأسلوب . وهي في أمور أخرى شخصية أو حكوميـة لا صلة لها بمثل هـذه الآراء والمعتقدات .

وقد أورد (الهمداني) نصاً قال إنه قراءة من قراءة (أبـي نصر) فيه نسب (عابر) ، هذا نصه : (قال أبو نصر : الناس يغلطون في عـابر ، وهو هود بن أيمن بن حلجم بن بضم بن عوضين بن شدّاد بن عـاد بن عوص بن إرم بن عوص بن عابر بن شالخ . وذكر أنه وجد هذا النسب في بعض مساند

---

١ الاكليل (١٦/٢) .

حمير في صفاح الحجارة)[1] . وقارىء هذا النص الذي هو مزيج من رواية توراتية ومن إضافة غريبة ، يخرج من قراءته ، برأي واحد هو أن (أبا نصر)، كان لا يتوقف عن نسبة أمور من عنده إلى المساند ، فيحملها ما لا يعقل أن تحمله أبداً . فلو كان النص حميرياً صحيحاً مأخوذاً من التوراة ، لكان النسب على نحو ما ورد في التوراة ، ولو كان صاحبه وثنياً لا يدين بدين سماوي ، فإنه لا يعقل أن يخلط فيه هذا الخلط .

ولكنني لا أريد هنا أن أكتفي بتقديم التقدير الى الهمداني والى الباقين من علماء اليمن الذين سبقوه أو جاؤوا من بعده والثناء على طريقتهم المذكورة ، بل لا بد لي من التحدث عن درجة علم هؤلاء العلماء بالمسند ، وبقراءة الكتابات وبعلمهم بمعانيها،أي علمهم بقواعد وأصول اللهجات التي كتبت بها مثل اللهجة المعينية أو السبئية أو القتبانية أو الحضرمية وغيرها من بقية اللهجات ، وذلك ليكون كلامنا كلاماً علمياً صادراً عن درس ونقد وفهم بعلم أولئك العلماء بتأريخ اليمن القديم .

ولن يكون مثل هذا الحكم ممكناً الا بالرجوع الى مؤلفات (الهمداني) وغيره من علماء اليمن لدراستها دراسة نقد عميقة . ومقابلة ما ورد فيها من قراءات للنصوص مع قراءات العلماء المحدثين المتخصصين بالعربيات الجنوبية لتلك النصوص ان كانت أصولها أو صورها موجودة محفوظة ، وعندئذ يمكن الحكم حكماً علمياً سليماً على مقدار علم أولئك العلماء بلغات اليمن القديمة وبتأريخها المندرس . ولكننا ويا للأسف لا نملك كل أجزاء كتاب (الإكليل) ولا كل مؤلفات الهمداني أو غيره من علماء اليمن ، فالجزء التاسع من الإكليل مثلاً وهو جزء خصص بأمثال حمير وبحكمها باللسان الحميري وبحروف المسند[2]،هو جزء ما زال مختفياً ، فلم نر وجهه ، وهو كما يظهر من وصف محتوياته مهم بالنسبة الينا ، وقد يكون دليلاً ومرشداً لنا في اصدار حكم على علم الهمداني بلغة حمير . ولكن ماذا نصنع

---

١ الاكليل (٩٣/١) .

٢ للوقوف على الاجزاء الاخرى من كتاب (الاكليل) تراجع مقدمة (نبيه فارس) Brockelmann, Vol., I, S., 229, Ency., Vol., 2, P., 246.
(قال الهمداني : اكثر ما وجد في المساند القبورية بكلام الحميرية ، وانا لما جعلنا الجزء السابع ؟ مقصورا على الكلام بالحميرية) الاكليل (١٤٣/٨) (طبعة الكرملي) وقد أخطأ الكرملي في كلمة (السابع) ، والواجب ان يكون الرقم : (التاسع)

ونفعل ، وقد حرمنا رؤية هذا الجزء ، وليس في مقدورنا نشره وبعثه ، فهل نسكت ونجلس انتظاراً للمستقبل ، عسى أن يُبعث الى عالم الوجود ؟

هذا ، وقد طبع الجزء الثامن من الإكليل وكذلك الجزء العاشر منه ، فاستفاد منهما المولعون بتأريخ اليمن القديم وبتأريخ بقية أجزاء العربية الجنوبيـــة ، وطبع الجزء الأول من هذا الكتاب حديثاً برواية (محمد بن نشوان بن سعيد الحميري) ، وقد ذكر أنه اختصر شيئاً في مواضع الاختلاف وفي النسب مما ليس له شأن في نظره دون أن يؤثر على الكتاب[1] .

وطبع الجزء الثاني من الإكليل أيضاً ، أخرجه ناشر الجزء الأول : « محمد ابن علي الأكوع الحوالي » من عهد غير بعيد[2] ، وليس لنا الآن إلاّ أن نرجو نشر الأجزاء الباقية من هذا الكتاب ، ليكون في وسعنا الحكم على ما جاء فيه من أخبار عن أهل اليمن الجاهليين .

إن أقصى ما نستطيع في الزمن الحاضر فعله وعمله لتكوين رأي تقريبي تخميني من علم الهمداني وعلم بقية علماء اليمن بلهجات أهل اليمن القديمة وبتأريخهم القديم ، هو أن نرجع الى المتيسر المطبوع من مؤلفاتهم ، لدراسته دراسة نقد علمية عميقة ، لاستخراج هذا الرأي منها . وهو وإن كان أقل من الضائع بكثير ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، والموجود خير من المعدوم ، وفي استطاعته تقديم هذا الرأي التخميني التقريبي . فلنبحث إذن في هذا المطبوع لنرى ما جاء فيه .

أما بخصوص الخط المسند ، فقد ذكر (الهمداني) أن جماعة مـــن العلماء في أيامه كانت تقرأ المسند ، غير أن أولئك العلماء كانوا يختلفون فيما بينهم في القراءة ، وكان سبب ذلك — على رأيه — اختلاف صور الحروف ، (لأنـــه ربما كان للحرف أربع صور وخمس ، ويكون للذي يقرأ لا يعرف إلا صورة واحدة)[3] . وقد عرف (الهمداني) أن كتّاب المسند كانوا يفصلون بين كل كلمة وكلمة في السطر بخط قائم ، وذكر أنهم كانوا يقرأون كل سطر بخط . غير أنـــه لم يذكر عدد الحروف . وصرح أنهم « كانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط

---

١ طبع في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٦٣ ، ونشر برقم ٢ من المكتبـــة اليمنيـــة (ص ٥)

٢ القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، سنة ١٩٦٦ م .

٣ الاكليل (١٢٢/٨) .

الحرف ، مثل ألف همدان وألف رئام ، فيكتبون رثم وهمدن ، ويثبتون ضمة آخر الحرف وواو عليهمو»[1] . وهي ملاحظات تدل على احاطة عامة بالمسند،سوى ما ذكره من أنه ربما كان للحرف أربع صور وخمس ، ويظهر أنه وغيره قد توصلوا إلى هذا الرأي من اختلاف أيدي الكتّاب في رسم الحروف ونقرها على الحجر ، كالذي يحدث عندنا من تباين الخطوط باختلاف خطوط كتبته ، فأدى تباين الخط هذا الى اختلافهم في القراءة ، وإلى ذهابهم الى هـذا الرأي ، أو أنهم اختلفوا فيها من جراء تشابه بعض الحروف مثل حرف الهاء والحاء ، فان هذين الحرفين متشابهان في الشكل ، فكلاهما على هيئة كأس يرتكز على رجل، والفرق بينهما ، هو في وجـود خط عمودي في وسط الكأس هو امتداد لرجل الكأس ، وذلك في حرف (الحاء) ، أما الهاء ، فلا يوجد فيه هذا الخط الذي يقسم باطن الكأس إلى نصفين . ويشبه حرف (الخاء) حرف (الهاء) في رسم رأس الكأس ، ولكنه يختلف عنه في القاعدة ، اذ ترتكز هذا الرأس على قاعدة ليست خطاً مستقيماً ، بل على قاعدة تشبه كرسي الجلوس ذي الظهر . ومثل التشابه بين حرفي الصاد والسين ، فكلاهما على هيئة كأس وضعت وضعاً مقلوباً، بحيث صارت القـاعدة التي ترتكز الكأس عليها إلى أعلى . أما الرأس ، وهو باطن الكأس ، فقد وضع في اتجاه الأرض . ولكن قاعدة (الصاد) هي على هيئة رقم خمسة في عربيتنا ، أي على هيئة دائرة أو كرة بينما قاعدة حرف السين هي خط مستقيم،أما باطن كأس حرف (الصاد) ، ففيه خط يقسمه الى قسمين وذلك في الغالب ، وقد يهمل هذا الخط المقسم ، أما حرف السين ، فلا يوجد فيه هذا الخط[2] .

وجاء (نشوان بن سعيد الحميري) بملاحظات عن (المسند) هي الملاحظات

---

١ الاكليل (١٢٢/٨) ، (طبعة نبية) ، (١٤١/٨) ، ـ طبعة الكرملي ـ ، لـه ملاحظات اخرى في كيفية الكتابة بـ المسند ، ذكرها في الجزء العاشر ص ١٦ ، ١٧ ، (والمسند : خط حمير ، مخالف لخطنا هذا ، كانوا يكتبونه ايام مسكهم فيما بينهم ، قال ابو حاتم : هو في ايديهم الى اليوم باليمن) ، لسان العـرب (٢٠٦/٤) ، الفهرست ص ٨ ،الجزء الاول من مجلة المجمع العلمي العراقـي في (جمهرة النسب) ، ص ٣٤٥ ، سنة ١٩٥٠ .

٢ للوقوف على اشكال حروف المسند ، يستحسن مراجعـة جـدول الحـروف الموضوع في هذا الجزء .

التي أوردهـا (الهمداني) عنه ، فقال : المسند : خط حمير ، وهو موجود كثيراً في الحجارة والقصور ، وهذه صورته على حروف المعجم ... وله صور كثيرة ، إلاّ أن هذه الصورة أصحها . واعلم أنهم يفصلون بين كل كلمتين بصفر ، لئلا يخلط الكلام . وصورة الصفر عندهم كصورة الألف في العربي[1].. وما قلته عن تعدد صور الحرف قبل قليل ، ينطبق على ملاحظة (نشوان) أيضاً .

ويظهر أن قوماً من أهل اليمن بقوا أمداً في الإسلام وهم يتوارثون هذا الخط ويكتبون به . فقد جاء في بعض الموارد : (والمسند خط حمير ، مخالف لخطّنا هذا ، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم . قال أبو حاتم : هو في أيديهم إلى اليوم باليمن)[2] ، إلاّ أنه لم يتمكن من الوقوف أمام الخط العربي الشمالي الذي دوّن به القرآن الكريم ، فغلب على أمره ، وتضاءل عدد الكتاب به حتى صار صفراً .

ومما يؤسف عليه كثيراً اننا لا نملك النسخ الأصلية التي كتبها أولئك العلماء بخط أيديهم، حتى نرى رسمهم لحروف المسند . فإن الصور المرسومة في المخطوطات الموجودة وفي النسخ المطبوعة ، ليست من خط المؤلفين ، بل من خط النساخ، فلا أستبعد وقوع المسخ في صور حروف المسند في أثناء النقل ، ولا سيما اذا تعددت أيدي النساخ بنسخ أحدهم عن ناسخ آخر . وهكذا . فليس للنساخ علم بالمسند ، ولذا لا أستبعد وقوعهم في الخطأ . ومن هنا فإن من غير الممكن اصدار رأي في مقدار اتقان الهمداني وبقية العلماء لرسم حروف الخط المسند .

وقد أشار (الدكتور كرنكو) الى هذه الحقيقة، إذ ذكر أن صور الحروف الحميرية في (الإكليل) تختلف باختلاف النسخ اختلافاً كبيراً ، فقد صوّر كل ناسخ تلك الحروف على رغبته وعلى قدرته على محاكاة النقوش، ومن هنا تباينت وتعددت ، فأضاعت علينا الصور الأصلية التي رسمها الهمداني لتلك الحروف[3] .

أما رأينا في علم علماء اليمن بفهم المسند ، فيمكن تكوينه بدراسة النصوص الواردة في مؤلفاتهم وبدراسة معرباتها ومقابلتها بالنصوص الأصلية المنقورة على الحجارة ان كانت تلك النصوص الأصلية لا تزال موجودة باقية ، أو بمراجعة

---

١ منتخبات (ص ٥٢) .
٢ لسان العرب (٢٠٦/٤) .
٣ الاكليل (٣٢٨/٨) (طبعة الكرملي) .

النصوص المدونة ومقابلتها بمعرباتها لنرى درجة قرب التعريب أو بعده من الأصل. وعندئذ نستطيع ابداء حكم على مقدار فهم القوم لكتابات المسند . أما في حالة اكتفاء المؤلف بايراد التعريب فقط أي معنى النص لا متنـــه ، فليس أمامنا من سبيل غير وجوب مراجعة المعربات ودراستها من جميع الوجوه ، لنرى مقدار انطباق أساليبها على الأساليب المألوفة في كتابات المسند ، وعندئـــذ نتمكن من تكوين رأي في هذا الذي ورد في المؤلفات على أنه ترجمات ، ونتمكن بذلك من الحكم بمقدار قرب تلك الترجمات والقراءات من المسند أو بعدها منه .

وخلاصة ما توصلت اليه من دراستي الاجمالية للأجزاء المطبوعة من مؤلفات (الهمداني) أن الهمداني ، وإن كان يحسن قـــراءة حروف المسند ، ويعرف القواعد المتعلقة بالخط الحميري ، الا انه لم يكن ملماً بألسنة المسند . ولم يتمكن من ترجمة النصوص التي نقلها ترجمة صحيحة ، ولم يعرف على ما يتبين منها كذلك ما كان قد ورد فيها وما قصد منها ، فجعل (تالباً) ، وهو اسم إلـه من آلهة اليمن المشهورة ، ومعبود قبيلة (همدان) الرئيس ، اسم رجل من رجال الأسرة المالكة لهمدان . وجعل (ريامًا) ، وهو اسم مكان من الأمكنة المشهورة، وكان به معبد معروف للإلـه (تالب) ، ابناً من أبناء (نهفان) ، ومن أبناء (تالب) . ولم يبخل الهمداني عليه ، فوهب له أماً قال لها : (ترعة بنت بازل بن شرحبيل بن سار بن أبـي شرح يحضب بن الصوار)[1] .

وأورد (الهمداني) نصاً ذكر ان (أحمد بن أبـي الأغر الشهابـي)، وحده بـ (ناعط) ، فقرأه ، فإذا هو : (علهان ونهفان ابنا بتع بن همدان ، لهم الملك قديماً كان)[2] . وقد عدّ (علهان نهفان) رجلين هما (علهان)و(نهفان)، مع أن (علهان نهفان) ، هو رجل واحد ، وهو ملك من ملوك سبأ وسيأتي ذكره . وقد كان والده (يريم أيمن بن أوسلت رفشان) من قبيلة (همدان) . وكلمة (نهفان) لقب له . أما اسمه فهو (علهان) . وكان له شقيق اسمـــه (برج يهركب) ، كما ورد ذلك في كتابة عثر عليها في (ريام)[3] ، فلم يكن

---

١ الاكليل (١٠/١٧ ، ١٨)
٢ الاكليل (١٠/١٦)
٣ المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية ، تاليف (اغناطيوس غويدي) من نشريات الجامعة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٣٠ ، ص ٢١ ، راجع النص الموسوم بـ :
C.I.H. 315

والده اذن رجلاً اسمه (بتع بن همدان) كما جاء في القراءة .

وأمـــا (بتع) ، فقبيلة من قبائل همدان ، وأما جملة : « لهم الملك قديماً كان » ، فهي لا ريب من قول الشهابي ، وليست بعبارة حميرية . وليس التعبير — وان فرضنا أنها ترجمة للأصل — من التعابير المستعملة في الحميريـــة ، التي ترد في الكتابات . ولما كنا لا نعرف المتن الأصلي للنص ، يصعب علينا الحكم عليه أكان قريباً من هذا المعنى أو كان شيئاً آخر ، عرف منه الشهابي بضع كلمات ثم فسره بهذا التفسير .

ويظهر على كل حال أن قراء المسند (وقد قلت إنهم كانوا يحسنون في أيام الهمداني قراءة حروف المسند) لم يكونوا على اطلاع بقواعد الحميريـــة ، ولا باللسان الحميري ، أو الألسنة العربية الجنوبية الأخرى . خذ مثلاً على ذلك : (بن) وهي حرف جر عند العرب الجنوبيين ، وتعني (من) و (عن) بلغتنـــا قد أوقعتهم هذه الكلمة في مشكلات خطيرة . فقد تصور القوم عند قراءتهم لها ، أنها تعني أبداً (ابناً) عـــلى نحو ما يفهم من هذه الكلمة في لغتنا . وفسروها بهذا التفسير . ففسروا (بن بتع) أو (بن همدان) وما شابه ذلك (ابن بتع) أو (ابن همدان) ، والمقصود من الجملتين هو (من بتع) و (من همدان) ، وبذلك تغير المعنى تماماً ، ومن هنا وقع القوم — على ما أعتقـــد — في أغلاط حين حسبوا أسمـــاء القبائل وأسماء الأماكن الواردة قبل (بن) وبعده ، أسماء أشخاص وأعيان ، وأدخلوها في مشجرات الأنساب . فاقتصار علمهم على الأبجدية وجهلهم باللغة ، أوقعهم في مشكلات كثيرة ، وسبب ظهور هذا الخلط[1] .

وجاء الهمداني بنصوص أخر ذكر أنها كانت مكتوبة بالحميرية ، مثل النص الذي زعم أن مسلمة بن يوسف بن مسلمة الخيواني قرأه على حجر في مسجد خيوان ، وهـــذا نصه : (شرح ما ، وأخوه ما ، وبنوه ما ، قيول شهران بنو هجر ، هم معتة بدار القلعة)[2] . وأمثال ذلك من النصوص . ولا اعتقـد أنك ستقول : إنّ هذا نص حميري ، ولا يسع أمرءاً له إلمام بالحميرية أن يوافق على وجود مثل هذه العائلة عائلة ما ، أو يسلم بأن هـــذه قراءة صحيحة لنص

---

١ Ditlef Nielsen, Der Sabaische Gott Ilmukah, Leipzig, 1910, 2.

٢ الاكليل (١٠/١٩) .

حميري . بل لا بد من وجود أخطاء في القراءة وفي التفسير . ولا أريد أن أتجاوز على رجل مشى الى ربه ، فلعلـــه كان يحسن قراءة بعض الحروف والكلمات ، ويتصور أنه أحسن قراءة النص كله وفهمه ، فجاء بهذه العبارة . وعلى كل ، إن كلّ الذي جاء في النصوص التي وقفت عليها في كتب الهمداني لا يمكن أن يعطي غير هذا الانطباع ، ولعلنا سنغير رأينا في المستقبل اذا تهيأت لنا نصوص من شأنها أن تغيره .

ويأتي (الهمداني) أحياناً بأبيات شعر زاعماً انها من المسند . ففي أثنـــاء كلامه مثلاً على قصر (شحرار) قال : « وفي بعض مساند هذا البنيان بحرف المسند :

شحرار قصر العلا المنيف أسسه تبع ينوف
يسكنه القيل ذي معاهر تخر قدّامه الأنوف »[1]

أما نحن ، فلم نعثر حتى اليوم على أية كتابة بالمسند ، ورد فيهـــا شعر ، لا بيت واحد ولا أكثر من بيت . وأما متن البيتين المذكورين ، فليس حميريـــاً ولا سبئياً ولا معينياً وليس هو بأية لهجة يمانية أخرى قديمة ، وانما هو بعربيتنا هذه ، أي بالعربية التي نزل بها القرآن الكريم ، نظمه من نظمه من المحدثين بهذه اللغة البعيدة عن لغات أهل اليمن .

أما الباب الذي عقده في الجزء الثامن بعنوان : (باب القبوريات) ، فقد استمد مادتـه من روايات وأخبـــار (هشام بن محمد بن السائب الكلبي)[2] ، و (ابن لهيعة)[3] و (موهبـة بن الدعام) من همـــدان[4] و (أبي نصر)[5] و (وهب بن منبه)[6] و (كعب الأحبار) و (عبدالله بن سلام)[7] . وقد

---

١ الاكليل (٦٦/٨) (طبعة الكرملي) .
٢ الاكليل (١٤٤/٨ ، ١٤٧ ، ١٥٤ فما بعدها ، ١٧٧ ، ١٩٦ ومواضع اخـرى) (طبعة الكرملي) .
٣ الاكليل (١٤٥/٨ ، ١٩٥) .
٤ الاكليل (١٤٦/٨) .
٥ الاكليل (١٧٣/٨) .
٦ الاكليل (١٨٠/٨) (وقد ذكر القصة كاملة وهب بن منبه في تيجان الملـوك) ، الاكليل (١٨٦/٨) .
٧ الاكليل (٣٠٩/٨) (طبعة الكرملي) .

أورد فيه نصوصاً زعم انها ترجمات لنصوص المسند ، عثر عليها في القبور عند الأجداث . وأورد بعضها شعراً ، زعم انه مما وجـد في تلك القبور ، كالذي ذكره عند حديثه عن قبر (مرشد بن شدّاد)[1] ، وعن قبرين جاهليين عثر عليها بـ (الجند) وقد نص على ان الشعر المذكور كان مكتوباً بالمسند وقد دونه[2].وهو وكل الأشعار الأخرى ومنها المراثي منظوم بعربية القرآن . وأما النثر ، فإنه بهذه العربية أيضاً ، وهو في الزهد والموعظة والندم والحث على ترك الدنيـا ، فكأن أصحاب القبور ، من الوعاظ المتصوفين الزهاد ، ماتوا ليعظوا الأحياء من خلال القبور ، ولم يكونوا من الجاهليين من عبدة الأصنام والأوثان .

وهو قسم بارد سخيف ، يدل على ضعف أحلام رواته ، وعلى ضعف ملكة النقد عند (الهمداني) وعـلى نزوله الى مستوى القصاص والسمّار والأخباريين الذين يروون الأخبار ويثبتونها وإن كانت مخالفة للعقل . إذ أنه لا يختلف عنهم هنا بأي شيء كان .

ومجمل رأيي في (الهمداني) أنه قـد أفادنا ولا شك بوصفة للعاديات التي رآها بنصه على ذكر أسمائها ، وأفادنا أيضاً في ايراده ألفاظاً يمانية كانت مستعملة في أيامه استعمال الجاهليين لها : وقد وردت في نصوص المسند ، فترجمها علماء العربيات الجنوبية ترجمة غير صحيحة ، فمن الممكن تصحيحها الآن على ضوء استعمالها في مؤلفات الهمداني وفي مؤلفات غيره من علماء اليمن . أما من حيث علمه بتأريخ اليمن القديم ، فإنه وإنْ عرف بعض الأسماء إلاّ أنه خلط فيها في الغالب ، فجعل اسم الرجل الواحد اسمين ، وصير الأمـاكن آباءً وأجداداً ، وجعل أسماء القبائل أسماء رجال ، ثم هو لا يختلف عن غيره في جهلـه بتأريخ اليمن القديم ، فملأ الفراغ بايراده الأساطير والخرافات والمبالغات . وأما علمـه بالمسند فقد ذكرت أنه ربما قرأ الكلمات ، ولكنه لم يكن يفقه المعاني ، ولم يكن ملماً بقواعد اللهجات اليمانيـة القديمة ، وقد حاولت العثور على ترجمة واحدة تشير الى أنها ترجمة صحيحة لنص من نصوص المسنـد ، فلم أتمكن من ذلك ويالأسف .

---

١ الاكليل (١٧٥/٨) (طبعة الكرملي) .
٢ الاكليل (١٧٨/٨) .

وعلم (الهمداني) بجغرافيـــة اليمن والعربية الجنوبية ، يفوق كثيراً علمـــه بتأريخ هذه الأرضين القديم ، فقد خبر أكثرها بنفسه وسافر فيهـــا ، فاكتسب علمه بالتجربة . أما علمه بجغرافية الأقسام الشمالية من جزيرة العرب ، فإنه دون هذا العلم[1] .

وأفادت (القصيدة الحميرية) ، لصاحبهـــا (نشوان بن سعيد الحميري) فائدة لا بأس بها في تدوين تأريخ اليمن[2] . ولهذا المؤلف معجم سمّاه (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)[3]،ضمنه ألفاظاً خاصة بعرب الجنوب[4] . وينطبق ما قلته في الهمداني على نشوان أيضاً . فاذا قرأت كتبـه ، تشعر أنه لم يكن يفهم النصوص الحميرية ولا غيرها ، وإن كان يحسن قراءة المسند . وما ذكره في كتابه (شمس العلوم) — وإنْ دلّ على حرص على جمع المعلومات ، وعلى تتبع يحمد عليه للبحث عن تأريخ اليمن ولغاتها القديمة — يدلّ على أنـــه لم يكن يفهم نصوص المسند ، وليس له علم بتأريخها وبتواريخ أصحابها ، وأنه لا يمتاز بشيء عن الهمداني أو سائر علماء اليمن الذين كانوا يدعون العلم بأخبار الماضين ، وأكثر الذي ذكره في كتابه على أنه من اللهجات الحميرية والعربيـة الجنوبية هو من مفردات معجمات اللغة ، ومن لهجات العربية الفصحى خلا ذلك الذي كان يستعمله أهل اليمن ، وهو قليل إذا قيس إلى سواه ، وقد فسر معانيه على نحو ما كان يقصده الناس في أيامه . ومع هذا ، فهـذا النوع من الكلمات هو الذي نطمع فيه ، لأنه من بقايا اللهجات البائدة ، ويفيدنا فائدة عظيمة في فهم معاني النصوص وفي قراءتها وشرحها وتفسيرها ، ولعله لم يكثر منها، لأنها كانت من كلام العوام فأشفق على نفسه من البحث في لغة العوام .

---

١ Moritz, S., 20.

٢ تجد ترجمته في : ارشاد الاريب (٢٠٦/٧) ، بغية الوعاة (ص ٤٣٠) ، W. F. Prideuaux, The Lay of the Himyarites, Sehore, 1879, Von Kremer, Die Himjarische Qaside, Leipzig, 1865. Brockelmann, I, S., 301, Suppl., I, 527, f., R. Basset, La Qasidah Himyarite De N.B.S., Alger, 1914.

٣ الاكليل (٨/ث وقيل : (شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم) نشـــر منتخبـات منه عظيم الدين احمد في سلسلة تذكار (كب) ليـدن ، ١٩١٦ ، (منتخبات في اخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)، وسأشير اليه بـ : منتخبـات .

٤ راجع مثة مادة هجر منتخبات ص ١٠٨ .

ولم يزد (نشوان) في شروحه لأسماء الأعيان والأجذام والقبائل والعمائر والأمكنة على ما أورده الهمداني أو سائر علماء التأريخ وأهل الأنساب ، فعدّ أسماء القبائل مثل همدان ، أسماء أشخاص لهم أنساب وأولاد وأقرباء ، وأخطأ في الأغلاط نفسها التي وقع فيها الهمداني،فذكر جملاً مسجوعة على انها من وصايا التبابعة، وعبارات متكلفة على انها قراءات لنصوص حميرية مكتوبة بالمسند[1] .

ومحمد بن نشوان بن سعيد الحميري نفسه هو ممن اعتمد على علم الهمداني ، كما نص على ذلك في فاتحة الجزء الأول من الإكليل . فهذا الجزء الذي طبع حديثاً هو برواية محمد بن نشوان ، رواه لمن سأله أن يوضح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها وما حفظ من سيرها وآثارها ، فما كان منه الا أن أخذ الإكليل فكتب له ، لم يغير فيه سوى ما قاله : (غير اني اختصرت شيئاً ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب . بل هو مما ذكره من الاختلاف في التأريخ ونحوه ، من غير أن أنسب الكدر الى صفوه)[2] . وفي مقدمته لهذا الجزء ثناءٌ عاطرٌ على الهمداني ، وتقدير كبير لعلمه في أخبار اليمن .

هذا هو كل ما أريد أن أقوله هنا عن مصادر التأريخ الجاهلي ، وهو قليل من كثير ، ولكن التوسع في هذا الموضوع يخرجنا حتماً عن حدود بحثنا المرسوم ، ويخرجنا الى التحدث في شيء آخر لا علاقة له بالجاهلية ، وانما يعود الى البحث في التأريخ ، وفي نقده ودروبه عند المؤرخين . على أني أراني قد توسعت مع ذلك في هذا الباب ، وذلك للحاجة التي رأيتها في ضرورة توضيح بعض الأمور الخاصة بتلك الموارد .

---

١ منتخبات ص ٦٠،٧٥ ومواضع اخرى .
٢ الاكليل (١/٥) .